المستفاد

على

لمعة الاعتقاد

الهادي إلى سبيل الرشاد

للإمام موفق الدين ابن قدامة المقدسي

(٥٤١ - ٦٢٠هـ)

تأليف الفقير إلى عفو ربه

عبدالله بن صالح القصيّر

ح عبدالله صالح القصير ١٤٢٤هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

القصير، عبدالله صالح

المستفاد على لمعة الاعتقاد / عبدالله صالح القصير - الرياض، ١٤٢٤هـ

١٠٢ ص؛ ٢٤سم

ردمك : ٢-٢٤٣-١٠-٩٩٦٠

١- العقيدة الإسلامية ٢- توحيد أ. العنوان

ديوي ٢٤٠ ٢٤٢٤/١٤٢٤

رقم الإيداع : ٢٤٢٤/١٤٢٤

ردمك : ٢-٢٤٣-١٠-٩٩٦٠

الطبعة الأولى

١٤٢٤هـ/ ٢٠٠٣م

الشاذلي
للنسخ والإخراج
٠٥٣١٥٣١٠٢

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

أما بعد :

فهذه فوائد مستفادة من كتب أئمة السلف وأتباعهم بإحسان جمعتها حين تدريسي رسالة «لمعة الاعتقاد» للإمام ابن قدامة ـ رحمه الله ـ لبعض الطلبة في المسجد، وقد رغب بعض المحبين تدوينها ونشرها بحاشية الرسالة الآنفة الذكر رجاء أن تعم فائدتها للراغب فيها ، فأجبته إلى ذلك.

هذا ، وأسأل الله تعالى أن ينفع بها وأن يجعلها خالصة لوجهه .

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه .

بقلم الفقير إلى عفو ربه
عبد الله بن صالح القصير
الرياض في ١٤٢٤هـ


بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله[١] الرحمن الرحيم، الحمد[٢]

---

(١) تُشرع البداءة بالبسملة في أول الرسائل والمصنفات اهتداءً بالكتاب العزيز فإنه مبدوءٌ ببسم الله الرحمن الرحيم، وتأسياً بالنبي ﷺ فإنه كان يكتبها أول عهوده ورسائله كما كتبها ﷺ في أول صلح الحديبية مع قريش، وكتبها ﷺ في أول رسائله إلى ملوك زمانه وعماله ، وهذا أمر معلوم من سنته ﷺ وكان أصحابه ـ رضي الله عنهم ـ يصدرون بها رسائلهم ونصائحهم لذويهم ولولاة أمورهم والغرض منها التبرك بالبداءة باسم الله تعالى والاستعانة به والبراءة من الحول والقوة إلا به سبحانه ففي ذلك:

١-العمل بالقرآن العظيم.

٢-إحياء سنة النبي الكريم ﷺ .

٣-الاتباع لسبيل المؤمنين .

٤-البراءة من أهل الضلال وسائر فئات البشر.

٥- طلب البركة والإعانة من الله تعالى بذكر اسمه.

(٢) **الحمد لغة:** الثناء .

واصطلاحا: هو الإخبار عن محاسن المحمود على وجه الثناء عليه.فحمد الله تعالى هو الإخبار عن محاسنه سبحانه على وجه الثناء عليه مع حبه وتعظيمه، والتعبد له بذلك والذل له. وجيء بالألف واللام الدالتين على الاستغراق للإشعار بأن جميع المحامد كلها لله تعالى ملكاً واستحقاقاً والله تعالى محمود على :

١-كمال ذاته .

٢-حسن أسمائه.

٣-علو صفاته.

لله[1] المحمود بكل لسان، المعبود في كل زمان[2]، الذي لا يخلو من علمه مكان،

٤- حكمته في خلقه وتدبيره وجزائه وعدله.

٥- عموم إنعامه وإحسانه إلى خلقه.

٦- تنزّهه سبحانه عن النقائص والعيوب وعن مماثلة الخلق فيما هو من خصائصهم، فدل ذلك على أن محامده سبحانه كثيرة واستحقاقه لأتم الحمد وأكمله بحسب ذلك، فهو سبحانه كما أثنى على نفسه ، لا يحصى ثناء عليه من خلقه .

(١) لفظ الجلالة ﴿ الله ﴾ عَلَمٌ على ذات الله سبحانه، وهو أعرف المعارف على الإطلاق، ولم يطلق على غير ﴿ الله ﴾ قط فلم يسمَّ به أحدٌ سواه سبحانه، وهو مشتق من « أَلِهَ يَؤلَه » إذا عُبد، فهو إله بمعنى مألوه أي معبود، وهو سبحانه هو المألوه، الذي تألهه القلوب ـ أي تكثر اللهج بذكر اسمه ـ لحبه وكونه مستحقاً؛ لأنه يُؤلَّه ويُعظَّم لعِظَم ذاته وحسن أسمائه وكمال صفاته وحسن أفعاله وجليل أفضاله، ولأنه هو الإله الحق المعبود بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا يستحقها أحد سواه، فوجب أن تخلص له العبادة وحده لا شريك له لأنه ذو الإلهية والعبودية على خلقه أجمعين، ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾ [الحج :٦٢] ، وقد ذكر هذا الاسم العظيم في القرآن أكثر من (٣٦٠) مرة.

(٢) الله تعالى معبود في كل زمان ومكان « يصلح لذكره » ودليل ذلك :

١- أن الملائكة يسبحونه بالليل والنهار لا يفترون.

٢- أن المكلفين من الجن والإنس يعبدونه سبحانه العبادات المؤقتة بأوقاتها وجهات الأرض مختلفة في توقيتها فلا يمضي وقت على قوم إلا دخل على غيرهم.

٣- أن ذكره سبحانه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل والاستغفار والدعاء وتلاوة القرآن وتعلم العلم وتعليمه مشروعٌ في سائر الأوقات والبلاد.

ولا يشغله شأنٌ عن شأن، جَلَّ عن الأشباه[(١)]

٤- قوله ﷺ : «جُعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً»، ولم يستثن من الأرض إلا المقبرة والمجزرة والمزبلة والحمام كما في الأحاديث الأخرى، وذلك إجلالاً لله تعالى، وقطعاً لذرائع الشرك ، ومهابة بالمعظم شرعاً.

٥- أنه ما من وقت وحال يكون فيها المكلف إلا لله تعالى عليه عبادة مناسبة لذلك الوقت وتلك الحال فمثلاً :

* إذا أُذّن بالصلاة فالعبادة هي الاستجابة للنداء وأداء الصلاة.
* وإذا دُعِي إلى الصدقة فالعبادة بذل ما تيسر أو أن يقول خيراً.
* وإذا رُؤي التقصير في الواجب، فالعبادة الأمر به والحض عليه، وإن رؤي المنكر فالعبادة النهي عنه والمنع منه حسب الاستطاعة .

(١) الحقُّ أن يُنفى تمثيل صفات الله تعالى بصفات خلقه ، فان ذلك أولى من نفي التشبيه لأمور:

أحدها: أن فيه موافقة لنص القرآن العظيم، فإن الذي في القرآن نفي المماثلة لا نفي المشابهة قال تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] وهو أفصح وأدل على المعنى ، فموافقة اللفظ أولى من استعمال لفظ مرادف أو مقارب .

الثاني: أن نفي التشبيه يقتضي نفي كل ما يشترك فيه الخالق والمخلوق ، وما من شيئين من الأعيان أو الصفات إلا وبينهما اشتراك من بعض الوجوه « ولو في الوجود » ، فالاشتراك في الوجود نوع تشابه، والخالق والمخلوق يشتركان في الوجود فبينهما وجه شبه في ذلك لكن عند الإضافة والاقتران يتحدد المراد وينتفي التماثل ، فللخالق وجود يليق بجلاله وللمخلوق وجود يليق بحاله.

والأنداد(١)، وتنزه عن الصاحبة والأولاد، ونفذ حكمه في جميع العباد(٢)، لا تمثله العقول بالتفكير، ولا تتوهمه القلوب بالتصوير(٣)، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى :١١] له الأسماء الحسنى، والصفات العلى(٤)

الثالث: أن التشبيه يُراد به عند بعض الناس إثبات الصفات ولهذا يسمون أهل السنة بالمشبهة ، فإذا نفينا التشبيه ظنوا أننا ننفي الصفات .

(١) **الأنداد** : جمع ند وهو المثل المضاد، والله تعالى لا ند له، أي لا أحد يستحق شيئاً من وصفه أو حقه ، فإنه تعالى واحدٌ في خلقه وملكه لا شريك له في خلقه وملكه وتدبيره، وواحدٌ في أسمائه لا سمي له يستحق اسمه ، وهو واحد في أوصافه وكمالاته لا مثل له ، وواحد في إلهيته وعبادته لا ند له ، ولا أحدٌ يستحق أن يُعبد معه أو من دونه قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴾ [الحج :٦٢] .

(٢) قوله : « **ونفذ حكمه في جميع العباد** » ذلك لأنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ، فلا راد لحكمه ولا معقب لقضائه ، لا يُسأل عما يفعل وهم يُسألون ، له الحكمة البالغة و الحجة الدامغة ﴿ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [البقرة : ١١٧] وأحكامه تعالى كلها جارية بين:

١- العدل فيمن يشاء ، ولا يظلم ربك أحداً .

٢- والفضل على من يشاء ، والله ذو الفضل يؤتي فضله من يشاء .

(٣) ذلك لأن الله تعالى لا مثل له فيُتمثل فكراً، وأجلّ من أن يحاط به تصوراً لقصر العقول، وعدم الإفصاح عن كيفيات صفاته بالمنقول، قال تعالى : ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا﴾ [طه :١١٠]، وقال سبحانه: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة :٢٥٥] .

(٤) العلم بأسماء الله وصفاته وأفعاله وأثرها في خلقه وأحكامه هو أنفع العلوم ، وهو زبدة الرسالة الإلهية وخلاصة الدعوة النبوية وبه قوام الدين قولاً و عملاً

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا بَيۡنَهُمَا وَمَا تَحۡتَ ٱلثَّرَىٰ ۝ وَإِن تَجۡهَرۡ بِٱلۡقَوۡلِ فَإِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخۡفَى ۝ ﴾ ، أحاط بكل شيء علماً، وقهر كل مخلوق عزة وحكماً، ووسع كل شيءٍ رحمةً وعلماً ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمًا ۝ ﴾[1] ، موصوف[2] بما وصف به نفسه في كتابه العظيم،

واعتقاداً، فإن العلم بأسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله هو الدليل على توحيد الإلهية ووجوب إخلاص العبادة له الذي هو أساس الدين وخلاصة دعوة المرسلين ، فهو أوجب وأفضل ما اكتسبته القلوب وأدركته العقول، وإنما يؤخذ ذلك من كلام الله تعالى وكلام نبيه ﷺ :

١- لأن الله تعالى أعلم بنفسه وأصدق قيلاً من خلقه وأحسن حديثاً .

٢- ولأن النبي ﷺ كان أعلم الناس بربه .

٣- وهو ﷺ أفصح الخلق وأبلغ في النصيحة والبيان.

٤- وقد أراد الله تعالى ـ فيما ذكر من أسمائه وصفاته ـ البيان لعباده وأمر نبيه ﷺ به .

(١) الله تعالى قد أحاط بخلقه علماً وهم لا يحيطون به علماً، فلا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء :

١- فلا يعلمون شيئاً عن كيفيات ذات الله وأسمائه وصفاته إلا ما أعلمهم إياه .

٢- ولا يحيطون بشيء من معلومه أي مما علمه إلا بما شاء.

وكلا المعنيين صحيح، وقد علّمنا الله تعالى أشياء كثيرة : فأعلمنا شيئاً من أسمائه وصفاته وأحكامه الكونية وذلك كله قليل بالنسبة لعلمه قال تعالى : ﴿ وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا ﴾ [الإسراء :٨٥] ، فما استأثر الله بعلمه أكثر.

(٢) **الصفة** مصدر : وصفت الشيء أصفه وصفاً ، والمراد بها هنا : ما أخبر الله تعالى

وعلى لسان نبيه الكريم[(١)] . وكل ما جاء في القرآن، أو صح عن المصطفى

به في كتابه أو على لسان رسوله ﷺ ، من وصفه اللائق بجلاله وعظمته، فقد اتفق أهل السنة والجماعة على إثبات الأسماء الحسنى وما تضمنته من الصفات العلى لله تعالى، قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف :١٨٠] وكل الأسماء الحسنى المذكورة في الوحي مشتملة على صفات ثبوتية ففي إثبات أسمائه سبحانه إثبات صفاته، فإذا قيل: إن الله بكل شيء عليم، وهو رحمن رحيم، وعلى كل شيء قدير، فالمعاني القائمة بالرب تعالى التي دل عليها هذا الكلام من العلم والرحمة والقدرة ، هي الصفات المقصودة ، فله سبحانه العلم الشامل والرحمة الواسعة والقدرة التامة ـ أي له من كل وصف أتمه وأكمله ـ وإنكار ذلك مكابرة وعناد، وضلال وإلحاد، وقد أخبر تعالى بأنه له العزة، وأثنى على نفسه بسعة العلم والرحمة.

وفي صحيح البخاري ـ في قصة الرجل الذي أمّره النبي ﷺ على سرية فكان يقرأ لهم ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص :١] ـ الحديث ـ وفيه : فقال: هي صفة ربي. فأقره النبي ﷺ على ذلك، وفي دعاء الاستخارة « **اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك** » ، وفي حديث أيوب عليه السلام ـ في قصة الجراد من الذهب .. الخ وفيه قال أيوب: بلى وعزتك، ولكن لا غني بي عن بركتك، وتعوذ النبي ﷺ بكلمات الله التامات، فدلت هذه النصوص وغيرها كثير على:

أ- أن لله تعالى صفات الكمال.

ب- أن كل اسم تسمى الله به يدل على صفة ثبوتية لله تعالى لأن الأسماء مشتقة من الصفات.

ج- جواز السؤال والتعوذ بالصفات وأنه من أفضل العبادات.

(١) من الإيمان بالله تعالى الإيمان بأسمائه وصفاته، وأسماء الله تعالى وصفاته من الأمور الغيبية التي أخبر عنها فيجب الإيمان بها و إثباتها كما جاءت في النصوص؛ لأن تسمية الله تعالى ووصفه بما لم يرد به وحيه قولٌ عليه بلا علم وذلك من افتراء

عليه السلام من صفات[1] الرحمن، وجب الإيمان به، وتلقّيه بالتسليم

الكذب على الله تعالى، ولأن الأمور الغيبية لا يدركها العقل فإن العقل لا مجال له في باب الأسماء والصفات، فإنه لا يدرك ذلك على سبيل التفصيل وإن أدرك ذلك على وجه الإجمال كإدراكه وجوب حسن الأسماء لله وكمال الصفات له تعالى ووجوب تنزيهه سبحانه عن العيوب والنقائص ، لذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله تعالى ـ : لا يُوصف الله ـ يعني ولا يسمى ـ إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ لا يتجاوز القرآن والحديث.

(١) من الواجب نحو نصوص الصفات :

أولاً : الإيمان بنصوصها وقبولها ، واعتقاد أن ما اشتملت عليه من المعاني حق على حقيقته.

ثانياً : حملها على ظاهرها وفهم معاني ألفاظها بمقتضى لغة العرب التي نزل بها القرآن العظيم، ونطق بها الرسول الكريم ﷺ ، وفهمها المخاطبون بها زمن الوحي فهماً قامت عليهم به الحجة وزالت به المعذرة، فإن الوحي جاء بلسانهم ليبيّن لهم .

ثالثاً : اعتقاد أن للصفات كيفيات استأثر الله تعالى بعلمها، فلا يعلمها غيره.

رابعاً : الكف عن محاولة تكييفها ـ أي الصفات ـ تصوراً في الذهن، أو تعبيراً في النطق، أو تمثيلها بصفات الخلق، أو تعطيل الله تعالى منها، أو التفويض زعماً أن معانيها مما استأثر الله بعلمه وأنها لا تعقل ، فيجب الكف عن ذلك كلّه :

١- لأنه لا يمكن إدراك ذلك إلا بمشاهدة الشيء أو مشاهدة نظيره، أو الخبر الصادق عنه، وكل ذلك منتفٍ بالنسبة لصفات الله تعالى .

٢- ولأن الله تعالى أعظم وأجل من أن يدرك الخلق كيفية صفاته وكنهها.

والقبول، وترك التعرض له بالرد[١] والتأويل[٢] ، والتشبيه[٣]

٣- فالتكييف والتمثيل والتعطيل والتفويض كله افتراء وكذب على الله ، وقول عليه بلا علم، وإضلال لعباده عن سبيله ، وهو من أعظم المحرمات في الشرع.

(١) الرد: هو التكذيب والإنكار لحقائق ومعاني ما تضمنته نصوص الأسماء والصفات الواردة في القرآن والثابتة في السنة، كأن يقول قائل ـ مثلاً ـ ليس لله تعالى : يد ، ولا وجه، وهذا كفر أكبر ؛ لأنه تكذيب لله تعالى ولرسوله ﷺ .

(٢) التأويل المذموم: هو تفسير معاني ألفاظ نصوص الأسماء والصفات الواردة في الكتاب العزيز، والسنة الصحيحة، بغير تفسير الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ وما يدل عليه اللسان العربي، وفيه تفصيل :

أ- فإن كان صادراً عن اجتهاد، وحسن نية، وتحري للحق ـ ممن هو أهل لذلك ـ بحيث لو تبين له الحق رجع عن تأويله فهذا معفو عنه لأنه قال بمبلغ علمه وبما أداه إليه اجتهاده وقد قال تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ﴾ [البقرة :٢٨٦] ولكن لا يجوز لغيره ممن علم خطأه اتباعه عليه.

ب- أن يكون التأويل صادراً عن هوى وتعصب، وله وجه في اللغة، فهذا فسق ولا يكون كفراً أكبر إلا إذا تضمن تنقصاً في حق الله تعالى.

ج- أن يكون التأويل صادراً عن هوى وتعصب ولا وجه له في اللغة العربية فهذا كفر أكبر، لأن حقيقته التكذيب والرد لما جاء عن الله ورسوله ﷺ.

(3) التشبيه: هو إثبات مشابه لله تعالى في بعض الوجوه فيما يختص به سبحانه من حقوق أو صفات، وهو كفر لأنه من الشرك بالله تعالى، ويتضمن تنقصاً له سبحانه من حيث تشبيهه بالمخلوق الناقص، فيما هو من خصائصه، وهو مراد (نعيم بن حماد) شيخ البخاري في قوله : «من شبَّه الله بخلقه كفر، وليس فيما وصف الله به نفسه تشبيه» فهو هنا بمعنى التمثيل: وهو مطابقة صفة الله تعالى ومساواتها بصفة

والتمـــــثـــــيـــــل[١] . ومــــــا أشـــــــكـــــــل[٢]

المخلوق من كل وجه، ولكن الأولى نفي التمثيل لا التشبيه لأمور سبقت الإشارة إليها منها :

الأول : أنه هو الوارد نفيه في القرآن وموافقة القرآن أولى.

الثاني : أنه ما من موجودين إلا وبينهما اشتراك في قدر من الشبه ولو لم يكن من ذلك إلا الاشتراك في الوجود لكفى[أ] .

(١) التمثيل ـ المنفي عن صفات الله جل وعلا هو إثبات مماثل لله تعالى من خلقه ـ أي مساوٍ له من كل وجه ـ فيما يختص به سبحانه من حقوق أو صفات وهو كفر أكبر لأنه :

١- من الشرك الذي هو تسوية المخلوقين الناقصين بأحسن الخالقين .

٢- تكذيب لقوله تعالى : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى : ١١] فقد تضمن هذا القدر من الآية الكريمة : نفي أن يكون لله تعالى مثلاً من مخلوقاته، مع إثبات أسمائه وصفاته.

٣- القول على الله تعالى بغير علم فإن التمثيل ـ غلو في الإثبات ـ وهو من القول على الله بلا علم ويتضمن تنقصاً لله تعالى من جهة تمثيله فيما هو من خصائصه بالمخلوق الناقص.

(٢) قوله « وما أشكل » ليس في نصوص الكتاب والسنة ـ في واقع الأمر ـ ما هو مشكل، فإن الله تعالى أنزل القرآن وما أوحى إلى نبيه محمد ﷺ من بيانٍ لهداية الناس لما خلقوا له، والحكم بينهم فيما اختلفوا فيه، وهذا يقتضي أن لا يكون في النصوص ما هو مشكل، وإنما الوضوح والإشكال يكون بحسب علوم الناس وفهومهم، وهذا أمر نسبي فقد يشكل على شخص ما لا يشكل على الآخر،

(أ) ص٧ تعليق (١) .

من ذلك[١] ، وجب إثباته لفظاً، وترك التعرض لمعناه، ونرد علمه إلى قائله، ونجعل عهدته على ناقله، اتباعاً لطريق الراسخين في العلم، الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين بقوله سبحانه وتعالى : ﴿ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ﴾ [آل عمران :٧] ، وقال في ذم مبتغي التأويل لمتشابه تنزيله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٧] فجعل ابتغاء التأويل علامة على الزيغ، وقرنه بابتغاء الفتنة في الذم، ثم حجبهم عما أملوه، وقطع أطماعهم عما قصدوه، بقوله سبحانه: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [آل عمران :٧] .

لتفاوت الناس في العلوم والمدارك، وفوق كل ذي علم عليم حتى ينتهي العلم إلى الله عز وجل فمن أشكل عليه من نصوص الشرع شيء :

* فإن كان من أهل الاجتهاد فليرد المتشابه المشكل إلى المحكم البين.
* وإن لم يكن من أهل الاجتهاد فليسأل أهل العلم والذكر.
* فإن لم يجد من يروي غليله فليرد علمه إلى الله تعالى وليقل: آمنا به كل من عند ربنا.
* وليحذر من القول على الله تعالى بغير علم، ومن معارضة النصوص ببعضها وضرب كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ ببعضهما ، فإن ذلك من الفتنة ومن أمارات الضلال، وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي أمامة ﷺ عن النبي ﷺ قال : « **ما ضل قومٌ بعد هدى كانوا عليه، إلا أوتوا الجدل في الدين** » .

(١) أي ما خفي معناه لإجمال في دلالته أو قصور في فهم قارئه فيجب نحوه:

* قبول لفظه لورود الشرع به، ورده ـ إن أمكن ـ إلى المحكم لمعرفة المراد به.
* إذا لم يمكن رده إلى المحكم ـ لنقص أهلية من أشكل عليه فالواجب سؤال أهل العلم عنه فإن لم يتيسر وجب التوقف في معناه وترك التعرض له بتفسير ـ لم يدل عليه الدليل الثابت ـ لأنه لا يمكن الحكم عليه فوجب رد علمه إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ .

قال الإمام أبو عبد الله أحمد بن محمد حنبل ـ رضي الله عنه ـ في قول النبي ﷺ : «**إن الله ينزل إلى سماء الدنيا**» و «**إن الله يُرى في القيامة**» وما أشبه هذه الأحاديث، نؤمن بها ، ونصدق بها[1] ، لا كيف[2] ، ولا معنى[3] ، ولا نرد

---

(١) أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله الواقعة بمشيئته من الأمور الغيبية التي تتلقى من طريق النقل من القرآن الصريح والحديث الصحيح فإن الأمور الغيبية لا دخل للعقل في إدراكها تفصيلاً ـ وإن أدرك بعض ما يجب لله تعالى وما ينبغي أن ينزه عنها إجمالاً ـ فلا بد فيها من الوحي الشرعي فإن الله تعالى أعلم بنفسه وإن النبي ﷺ أعلم الخلق بربه، فما جاء به الوحي وجب التسليم له والإيمان به وإثباته على الوجه الذي جاء، فإن تسميةَ الله تعالى بما لم يسم به نفسه أو وَصْفَه بما لم يصف به نفسه أو إثبات فعل له أو نفيه عنه بلا علم محذورٌ لكونه :

١- قولٌ على الله تعالى وفي دينه بلا علم .

٢- افتراءٌ على الله الكذب.

٣- وسوءُ أدبٍ مع الله ونقص تعظيم له.

لذا قال الإمام أحمد ـ رحمه الله ـ : لا يوصف الله ـ يعني ولا يسمى ـ إلا بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله لا يتجاوز القرآن والحديث.

(١) قوله « لا كيف » : المراد: لا نكيف صفات الله تعالى ـ أي لا نفترض لها كيفيات بعقولنا ـ فإن العقل لا يمكنه إدراك كيفيات الصفات قال تعالى ﴿ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا ﴾ [طه :١١٠] ولكنا نؤمن أن للصفات كيفيات ثابتة حقاً يعلمها الله تعالى ولم يحطنا سبحانه بها علماً.

(٣) قوله « ولا معنى » أي لا نثبت لصفات الله تعالى معنى يخالف المعنى الصحيح الموافق لظاهرها والذي تلقاه الرسول ﷺ والمؤمنون بالتسليم والقبول، فإن إثبات معانٍ للنصوص ـ خلاف ما دل عليه ظاهرها ـ بلا دليل ثابت، من تحريف الكلم

شيئاً منها ، ونعلم أن ما جاء به الرسول حق ، ولا نرد على رسول الله ﷺ(١). ولا نصف الله بأكثر مما وصف به نفسه(٢)، بلا حدّ ولا

عن مواضعه الذي وقع فيه المعطلة، فشابهوا اليهود الذين ذمهم الله بتحريف الكلم من بعد مواضعه.

(١) فإن من تحقيق شهادة أن محمداً رسول الله تصديقه فيما أخبر، فإنه لا يقول في دين الله تعالى إلا تبليغاً عن الله تعالى، قال تعالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم :٣-٤]، وقال سبحانه : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ ۝ ﴾ [الحاقة :٤٤-٤٧] وقال ﷺ لعبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما : « **أكتب - يعني الحديث - فوالله ما يخرج منه - وأشار إلى فيهِ - إلا الحق** » .

وعصمة الرسل عليهم الصلاة والسلام فيما يبلغونه من الدين وكذلك ما يرشدون إليه من أمور الدنيا جازمين من مسائل الإجماع التي أجمع عليها المسلمون، والقول بخلافه قدح في منصب النبوة والرسالة وقدح في سند الشريعة والسنة.

(٢) لا يوصف الله تعالى بغير ما وصف به نفسه في كتابه أو على لسان نبيه ﷺ لأمور :

* لأنه تعالى أعلم بنفسه وأصدق قيلاً وأحسن حديثاً من خلقه.

* ولأنه تعالى أراد البيان والهدى لعباده كما قال سبحانه : ﴿ يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ ﴾ [النساء :٢٦] .

* ولأن من زاد على ما وصف الله به نفسه أو ردَّ معناه فقد استدرك على الله تعالى في بيانه وقال فيه سبحانه وفي دينه ما لا علم له به، فكذب عليه وأضل عباده.

* ولأن النبي ﷺ ، يبلغ عن ربّه دينه وهو معصوم في تبليغه، وباب الأسماء والصفات من أهم أبواب العلم، الذي جاء به النبي ﷺ وبلّغه، وقبول معاني ألفاظها على وفق ما دل عليه ظاهرها وإثباتها والتوسل بها إلى الله تعالى دعاءً

غاية[1] ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١]، ونقول كما قال، ونصفه بما وصف به نفسه، لا نتعدى ذلك، ولا يبلغه وصف الواصفين، نؤمن بالقرآن كله محكمه ومتشابهه، ولا نزيل عنه صفة من صفاته لشناعة شُنِّعت، ولا نتعدّى القرآن والحديث، ولا نعلم كيف كنه ذلك إلا بتصديق الرسول ﷺ وتثبيت القرآن .

قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي ـ ﷺ ـ : « آمنت بالله وبما جاء عن الله ، على مراد الله، وآمنتُ برسول الله، وبما جاء عن رسول الله، على مراد رسول الله.

وعلى هذا درج السلف، وأئمة الخلف، ـ رضي الله عنهم ـ، كلهم متفقون على الإقرار، والإمرار[2]، والإثبات لما ورد من الصفات في كتاب الله ، وسنة

وثناءً وبراءة من المخلوقين من أجل أمور الدين الذي كان عليه النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه.

* ولأن الخلق ﴿لَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلْمًا﴾ ، ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة :٢٥٥] .

(١) « **قوله بلا حد ولا غاية** » المراد : بلا حد نعلمه نحن ولا غاية نتوهمها، مع إيماننا جازمين أن الله تعالى عالٍ على جميع مخلوقاته وأنه تعالى مستو على عرشه فوق سمواته وجميع مخلوقاته، بائن ـ أي منفصل ـ من خلقه بحد هو أعلم به، فإنه تعالى أعلم بنفسه.

(٢) اشتهر عن السلف الصالح قولهم ـ في نصوص الأسماء والصفات ـ أمروها كما جاءت بلا كيف، وهو مراد المؤلف ـ رحمه الله ـ بقوله هنا : الإمرار والإثبات أن أنه يجب قبول نصوص الأسماء والصفات وإجراؤها على ظاهرها، مع إثبات حقائق معانيها وإمرارها كما جاءت مع نفي العلم بالكيفية فإنها مما استأثر الله

رسوله ﷺ، من غير تعرض لتأويله[١].

وقد أُمِرْنا بالاقتفاء لآثارهم، والاهتداء بمنارهم، وحُذِّرنا المحدثات،

تعالى بعلمه فلم يحط عباده بها علماً، وعليه فالقول في الصفات فرع عن القول في الذات، فكما أن إثبات الذات إثبات وجود لا إثبات كيفية، فكذلك إثبات الصفات إثبات وجود وانفراد بالكمال لا إثبات تكييف وتمثيل ـ فلا يَرِدُ عليها التأويل الذهني ـ الذي هو التحريف والتعطيل.

(١) المراد تفسيره بغير ما يدل عليه ظاهر لفظه المتبادر من كلام الله تعالى وكلام رسوله ﷺ والذي يترتب عليه تغيير معاني الصفات وتحريف الكلم عن مواضعه، فإن التأويل الذي يزعمه نفاة الصفات وهو صرف معنى اللفظ وتفسيره بخلاف ما يدل عليه ظاهره لقرينة باطل من وجوه:

الأول: أنه اصطلاح حادث لم يدل على معناه كتاب ولا سنة ولا إجماع من السلف.

الثاني: أنه صرف لنصوص الكتاب والسنة في الصفات عن مدلولها ومقتضاها وتفسير لها بغير معناها وإزالة للفظ عما دل عليه من معنى.

الثالث: أن المراد به ضد معنى التأويل في لغة السلف فإن التأويل عند السلف يراد به التفسير الصحيح للنص أو الحقيقة التي يؤول إليها الكلام.

الرابع: أن حقيقة معناه عند أهل الكلام تحريف للكلم عن مواضعه وإلحاد في أسماء الله وآياته.

الخامس: أن أصل وقوعهم فيه وسببه إعراضهم عن نصوص كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وفهمها كما فهمها الصحابة والتابعون، ومعارضة ما تدل عليه النصوص من معنى بما يناقضه وذلك من أعظم المحادّة لله ورسوله ﷺ لكن على وجه النفاق والخداع.

وأخبرنا أنها من الضلالات، فقال النبي ﷺ : « **عليكم بسنتي**[١] **وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة**[٢]**، وكل بدعة ضلالة** » .

---

(١) **السنة** : المراد بالسنة ـ في هذا الباب ـ ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ من اعتقاد، أو قول ، أو عمل، أو حال، لقوله ﷺ في الفرقة الناجية: «**هم مَنْ كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي** » ، وقوله ﷺ :« **لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين، لا يضرهم من خذلهم ولا من خالفهم حتى يأتي الله بأمره** » ، وقد أمر الله تعالى باتباع نبيه ﷺ، بقوله تعالى : ﴿ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴾ [النور :٥٦] وقوله تعالى : ﴿ مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾ [النساء :٨٠] ، وأمر النبي ﷺ بلزوم سنته، بقوله :« **عليكم بسنتي** » ، وقوله عليه الصلاة والسلام : «**من رغب عن سنتي فليس مني** » ، وأوصى الصحابةُ ـ رضوان الله عليهم ـ الأمةَ بالسنة وقالوا عنها : « إنها سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تركها غرق وهلك » ، ومن السنة:

* اعتقاد تفرد الله تعالى في إلهيته والإخلاص له في عبادته والبراءة من الشرك وأهله .
* إثبات أسماء الله تعالى وصفاته وأفعاله على الوجه اللائق بجلاله وعظمته وتنزيهه عن مماثلة مخلوقاته في شيء من ذلك، ودعاؤه والثناء عليه بذلك والبراءة ممن جحد أو ألحد في شيء من ذلك.
* الاستقامة على الشرع المطهر، ولزوم السنن الذي كان عليه النبي ﷺ في العبادة والبراءة من البدع الاعتقادية العملية والقولية وأهلها.

(٢) **البدعة لغة** : الشيء المحدث ، ويراد بها في العقيدة ، ما أحدث في الدين على

وقال عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه ـ : « اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم » .

وقال عمر بن عبد العزيز ـ رضي الله عنه ـ كلاماً معناه : قف حيث وقف القوم، فإنهم عن علم وقفوا ، وببصر نافذ كفوا، وهم على كشفها كانوا أقوى، وبفضل لو كان فيها أحرى، فلئن قلتم: حدث بعدهم، فما أحدثه إلا من خالف هديهم، ورغِب عن سنتهم، ولقد وصفوا منه ما يشفي، وتكلموا منه بما يكفي، فما فوقهم محسِّر، وما دونهم مقَصِّر، لقد قصَّر عنهم قومٌ فجفوا، وتجاوزهم آخرون فغلوا، وإنهم فيما بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

خلاف ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه من المقالات والاعتقادات أو الأعمال والأحوال، وهي موصوفة في القرآن بأنها خسران، قال تعالى : ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾ [الكهف ١٠٣:-١٠٤] ، وجاء النص في الحديث بأنها ضلالة ، أي عن الحق والقصد لقوله ﷺ : « **كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة** » ، ومن شؤم البدعة :

١- أنها تفريق للدين .

٢- سبب لاختلاف المسلمين.

٣- العمل بها باطل.

٤- وهي سبب لهجر وإماتة السنة.

٥- ضلال عن الصراط المستقيم، واتباع للسبل المؤدية إلى النار.

٦- من موجبات زوال النعم.

كيف لا ولازمها أنها استدراك على الله عز وجل في تشريعه، أو اتهام للنبي الأمين المرسل في تبليغه، وتبديل للوحي المنزل وإضلال للعباد، وظلمة لوجوه أهلها يوم التناد.

وقـال الإمـام أبـو عمـرو الأوزاعـي ـ رضي الله عنه ـ : « عليك بآثار من سلف وإن رفضك الناس، وإياك وآراء الرجال وإن زخرفوه لك بالقول » .

وقـال أبوعبدالرحمن ابن محمد الأذرمي لرجل تكلَّم ببدعة ودعا الناس إليها: هـل عـلمها رسـول لله ﷺ وأبـو بكـر وعمـر وعثمان وعلي، أو لم يعلموها ؟ قـال: لم يعـلموها، قـال: فشـيء لم يعـلمه هؤلاء علمته أنت؟ قال الرجل: فإني أقـول : قـد عـلموها . قـال: أفوسـعهم أن لا يتكلموا به ، ولا يدعوا إليه، أم لم يسـعهم؟ قـال: بـلى وسـعهم، قـال: فشـيءٌ وسِعَ رسول الله ﷺ وخلفاءه، لا يسـعك أنـت؟ فـانقطع الـرجل . فقـال الخلـيفة ـ وكان حاضراً ـ : لا وسَّع الله على من لم يسعه ما وسعهم.

وهكـذا مـن لم يسـعه مـا وسـع رسـول الله ﷺ وأصـحابه والـتابعين لهـم بإحسـان، والأئمـة مـن بعدهم، والراسخين في العلم، من تلاوة آيات الصفات، وقراءة أخبارها، وإمرارها كما جاءت، فلا وسَّع الله عليه .

فممـا جـاء مـن آيـات الصـفات قـول الله عز وجل : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ﴾[1] [الرحمن : ٢٧] .

---

(١) **الوجـه** : في اللغـة مستقبل كـل شيء لأنه أول ما يواجه منه، وهو في كل شيء بحسـب ما يضاف إليه. وقد جاء الوجه في القرآن مضافاً إلى الله جل وعلا في جميع النصوص، وهكذا في السنة الصحيحة عن النبي ﷺ قال تعالى : ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ وقال ﷺ : « **وأسألك لذة النظر إلى وجهك** » وقال : « **أعوذ بالله العظيم وبوجهـه الكريم** » ، فـلما أضـيف الوجه في القرآن والسنة ـ في معرض الخبر عن الله تعالى أو دعائه والضراعة إليه ـ إلى لفظ الجلالة أو ضميره؛ دل ذلك عـلى أنـه وجـه مـن ليس كمثله شيء، وفي قوله سبحانه ﴿ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ

وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ ﴾ [المائدة :٦٤] [(١)]، وقوله تعالى

وَٱلْإِكْرَامِ ﴾ أضاف الوجه إلى الذات، وأضاف النعت إلى الوجه؛ فدل على أنه صفة للوجه وأن الوجه صفة للذات، فوجه الله تعالى من صفاته، فهو صفة ذاتية لله تعالى لائقة بجلاله وعظمته، وعلى هذا مضى الصحابة والتابعون وأئمة الهدى من بعدهم على إثبات الوجه صفة لله تعالى لائقة بجلاله كسائر صفاته الذاتية الخبرية، فنؤمن أن لله تعالى وجهاً حقيقياً موصوفاً بالجلال والإكرام، فليس اللهُ تعالى مُعَطَّلاً من الوجه، ولا وجهه سبحانه يماثل وجوه خلقه، ولا يفسر ـ الوجه ـ بغير ما تدل عليه لغة القرآن والسنة ؛ بل نؤمن به ونثبته كما جاء، ونعلم معناه، ونفوض العلم بكيفيته إلى الله تعالى، فإن الله تعالى أخبرنا عنه ولم يحطنا علماً بكيفيته فلا نقول فيه بغير علم، ولكننا نتعوذ بوجهه سبحانه من أسباب الفتن في العاجلة والآجلة، ولا نسأله بوجهه ـ سبحانه ـ إلا الجنة، وما هو عظيم من ثواب الآخرة.

وكل ما فسر المبتدعة الوجه به فهو باطل من وجوه :

أحدها : أنه تفسير له بأشياء مخلوقة.

الثاني : وهو أيضاً لا دليل عليه.

الثالث : وأنه مخالفٌ لظاهر النصوص وإجماع السلف.

الرابع : ولأنه لا تصح الاستعاذة بما فسر المبتدعة الوجه به ، فإنه لا يُستعاذ بمخلوق فيما لا يقدر عليه إلا الله، فلما صحت الاستعاذة بوجه الله تعالى دل ذلك على أنه من صفاته لا من مخلوقاته.

فدل ذلك على أن تفسير الوجه بالجهة أو الثواب ونحو ذلك، من تحريف الكلم عن مواضعه والقول على الله بغير علم . والله أعلم.

(١) أولاً : صفة اليدين لله تعالى ثابتة بوجوه ، منها :

أ- صريح القرآن كقوله تعالى مخبراً عن نفسه : ﴿ بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَآءُ ﴾

وقال سبحانه لإبليس : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ ﴾ [ص :٧٥] .

....

ب- صح عن النبي ﷺ قوله : « **خزائن الله ملأى ويداه سحاء الليل والنهار** » ، وأخبر عليه الصلاة والسلام أن الله تعالى خلق جنة عدن بيده، وكتب التوراة لموسى بيده، إلى غير ذلك من الآيات والأحاديث الصحيحة المثبتة لصفة اليدين لله تعالى.

ج- إجماع السلف الصالح من الصحابة فمن بعدهم على ما دل عليه ظاهر القرآن والسنة من إثبات يدين حقيقيتين لله تعالى فلم ينقل عنهم حرف واحد يخالف ذلك.

د- العقل التابع للكتاب والسنة لا ينكر ذلك ولا يحيله بل يقبله ويؤيده، كيف وقد اشتملت نصوص الوحي على ذكر ما يؤيد حقيقة اليدين؟ من ذكر اليمين والشمال، والإصبع والكف، والقبض والبسط ونحو ذلك مما هو براهين قاطعة على إثبات حقيقة اليد صفة لله، وأنه لا يستنكر ثبوت اليدين ويفسرها بغير الحقيقة؛ إلا من لبس عليه فهمه وحيل بينه وبين عقله وفسدت فطرته، وساء ظنه بربه.

ثانياً : ردَّ المعطلة ـ على اختلاف طوائفهم ـ ما دلَّ عليه القرآن والسنة وإجماع الأمة والعقل الصريح وفسروا اليدين لله تعالى بالنعمة والقدرة ؛تحريفاً للكلم عن مواضعه ؛ وتعطيلاً لله تعالى من صفات كماله ، وهو تفسير مردود لأمور :

الأول : مخالفته لظاهر القرآن والسنة وإجماع السلف.

الثاني : أنه ليس عليه دليل يؤيده بل الدليل ضده.

الثالث : قد جاء في سياق النصوص ما يمنعه؛ فإن اليدين لله تعالى قد جاءتا بصيغة التثنية للدلالة على العدد، وأما القوة والنعمة فلا يُوصف الله بهما بصيغة التثنية.

الرابع : وفي ذكر الإعطاء والمنع والقبض والبسط والخلق والكتب ما يدل على إثبات حقيقة اليدين ويمنع إرادة المجاز فيها.

الخامس : ورد في النصوص ذكر اليد مفردة للدلالة على الجنس والمفرد لا يمنع التعدد لأن المفرد المضاف يفيد العموم وقد ثبت لله تعالى يدان، أما ذكر التثنية

إخباراً عن عيسى ـ عليه السلام ـ أنه قال : ﴿ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴾[المائدة :١١٦](١) ، ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ ﴾ [الفجر :٢٢](٢) وقوله تعالى : ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ ﴾ [البقرة :٢١٠] ، وقوله تعالى :

فيراد منه ثبوت العدد وأما الجمع فيراد منه التعظيم ولو أريد حقيقته فأقل الجمع اثنتان، فأفاد ذلك :

* إثبات صفة اليدين لله حقيقة ونفي توهم المجاز.
* أن ذلك من صفات كماله.

السادس : ولو كان المراد باليد القدرة لاستوى آدم ـ عليه السلام ـ وإبليس في الخلق ولم يكن لآدم فضيلة ولا مزية على إبليس؛ فدل ذلك على ثبوت صفة اليد الحقيقية لله تعالى على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، وتشريف من اختصه بأن خلقه بيده .

(١) دلت نصوص الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على إثبات النفس لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، فهي من الصفات الذاتية الخبرية :

أ- قال تعالى : ﴿ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ﴾ [الأنعام :٥٤] ، وقال تعالى حكاية عن عيسى عليه السلام أنه قال مخاطباً ربه : ﴿تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَۚ ﴾ [المائدة :١١٦] .

ب- وصح عن النبي ﷺ قوله : « **سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه** » .

ج- ولم ينقل عن السلف ما يخالف ما دل عليه ظاهر الكتاب والسنة، فوجب إثبات النفس لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل بخلقه ولا تعطيل له من صفات كماله ولا تحريف للكلم عن مواضعه فإنه تعالى ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] ﴿ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ ﴾ [الروم :٢٧] .

(٢) المجيء والإتيان لله تعالى من الصفات اللازمة ـ أي التي لا تتعدى لمفعول ـ كسائر الصفات الفعلية الاختيارية ـ على ما يليق بجلال الله تعالى وكماله وعظمته، والمقصود منها مجيء الله تعالى، وإتيانه يوم القيامة لفصل القضاء بين العباد كما

﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[1] [المائدة :١١٩] ....

يشاء، قال تعالى ﴿ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ﴾ [الفجر :٢٢] ، وقال تعالى ﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ ﴾ [الأنعام :١٥٨]، وهاتان الصفتان من الصفات الفعلية الاختيارية الغيبية التي نؤمن بها كما وردت، ونثبتها لله عز وجل ونحملها على ظاهرها وحقيقتها، لا نحرف معناها الذي تدل عليه لغة القرآن والسنة ، بل نقول إن الله تعالى يجيء كما يشاء ويأتي كما يشاء على الوجه اللائق به، ولا نقول إن العرش يخلو منه ولا يخلو، لأننا لم نحط بذلك علماً، ولا يكون العرش فوقه، ولا شيء من مخلوقاته فوقه بل الله تعالى محيط بجميع الخلق وفوقهم في كل حال، فلا يحيط به شيء من الخلق، ولا يكون شيء فوقه، بل هو العلي العظيم وهو الأعلى قدْراً وقهراً وذاتاً، في كل حال وزمان.

(١) الله تعالى موصوف بصفة الرضى على من وجد منه مقتضاه:

* فيرضى عن العمل قال تعالى : ﴿ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ ﴾ [الزمر :٧] .

* ويرضى عن العامل قال تعالى : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾ [البينة :٨] .

وقال ﷺ : «**إن الله يرضى لكم ثلاثاً : أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئاً**». الحديث.

فالرضى صفة في الله تعالى حقيقية لائقة بجلاله وعظمته، متعلقة بمشيئته فهي من الصفات الفعلية الاختيارية المتجددة لوقوعها بمشيئة الله تعالى وإرادته كسائر الصفات الفعلية، وقد دل على ثبوت صفة الرضا لله تعالى الكتاب والسنة وإجماع السلف والعقل السالم من الهوى والبدعة :

* فمن الكتاب قوله : ﴿ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ ﴾ [البينة :٨] .

* ومن السنة قوله ﷺ في قصة مجيء الملك للأبرص والأقرع والأعمى الحديث وفيه : « **إن الله قد رضي عنك وسخط على صاحبيك** » .

....

* وأجمع السلف الصالح على إثبات الرضى لله تعالى حيث لم يُنقل عنهم حرف واحد يخالف ظاهر ما دل عليه الكتاب والسنة بهذا الشأن.

* والعقل يثبت الرضا لله تعالى بالاستدلال عليه بإثابة الله تعالى للطائعين وحسن جزائهم في الدارين.

* ولو لم يدل العقل على الرضا فإنه لا يمنعه ويكفي في إثباته دلالة القرآن والسنة وإجماع السلف.

* ثم إن الرضى صفة فعل ومن كمال ربوبية الله تعالى أن يكون فعالاً لما يريد؛ فلكمال تصرفه يرضى عن أقوام لطاعتهم الموافقة للشرع ، ويسخط على آخرين لمعصيتهم وإعراضهم عن الشرع.

* فوجب الإيمان بصفة الرضى لله تعالى، وإثباتها على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته، وأنه لا يعلم كيفيتها إلا هو سبحانه، وأن يُنزه تعالى عن تمثيله بخلقه فيها أو تعطيله منها.

* وليعلم أن رضى الله تعالى عن عباده هو أعظم وأجلّ من كل ما يُعطَون من النعيم؛ ولهذا يبشرهم به تعالى في الدنيا والآخرة قال تعالى : ﴿ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴾ [التوبة :٢١-٢٢] ، ويقول سبحانه لأهل الجنة في الجنة : « **أحلُّ عليكم رضائي فلا أسخط عليكم بعده أبداً** ». وبهذا يكمل النعيم ، جعلنا الله ممن يقال له ذلك بوجهه الكريم قال تعالى : ﴿ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾ [التوبة :٧٢] .

* أما رضى العباد عن الله تعالى فأوله رضاهم بألوهيته وعبادته، ومن آثاره عملهم بطاعته وترك معصيته والاستغفار إليه من التقصير في حقه، وخاتمته رضى

وقوله : ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ ﴾ [المائدة :٥٤][1] ، وقوله تعالى في الكفار :

كل واحد منهم بمثوبته ومنزلته مهما كانت ، وسروره واغتباطه بفضل الله تعالى حتى يظن أحدهم أنه لم يُؤتَ أحدٌ مثلَ ما أُوتيَ قال تعالى : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴾ [الحجر :٤٧] .

(١) صفة المحبة لله تعالى قد دل عليها الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة وهي محبة تليق بجلال الله تعالى وعظمته، كسائر صفات كماله، ـ وكذلك المودة وهي صفة لله تعالى دل عليها اسمه الودود والود صفاء المحبة وخالصها ـ والحب مشتق من الملازمة والثبوت، فالمحب ملازم لذكر محبوبه متصف بحبه على الدوام، والله تعالى يوصف بالإرادة والود والحب والخلة حيثما ورد النص على الوجه اللائق بجلاله وعظمته، من غير تمثيل ولا تكييف ولا تحريف ولا تعطيل.

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال : «**إن الله اتخذني خليلاً كما اتخذ إبراهيم خليلاً**»، وقد قال الإمام أحمد : لا نزيل عن الله صفة من صفاته لأجل شناعة المشنِّعين.

وقد أنكرت الجهمية والمعتزلة ومن وافقهم محبة الله لشبهة فاسدة أوردوها ردوا بها النصوص وعطلوا الله تعالى من صفة من صفاته الثابتة له، فقالوا : « إن المحبة لا تكون إلا بين متناسبين » ويجاب عن هذه الشبهة بأمور:

الأول : أنه قد جاءت النصوص بإثبات تلك الصفة، والواجب على المؤمنين قبول ما جاءت به النصوص والتسليم به لله تعالى على مراده، فيقولون : سمعنا وأطعنا.

الثاني : أن السلف قد أجمعوا على إثبات تلك الصفة وما دلت عليه ولم ينقل عنهم حرف يخالف ما دل عليه ظاهر النصوص، بل قد أنكروا على من عطل الله تعالى منها بما يشفي ويكفي.

الثالث : أن المناسبة لفظ مجمل قد يراد به عدة معاني: منها التوالد، والله سبحانه مُنزّه عن ذلك، ومنها المماثلة والله تعالى ليس كمثله شيء، ومنها الموافقة في معنى

﴿ غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ﴾ [الفتح :٦] [١] ، وقوله تعالى : ﴿ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ ﴾

من المعاني وضدها المخالفة، والمناسبة بهذا الاعتبار ثابتة ،فإن أولياء الله تعالى يوافقونه في حب ما أمر به ؛ فيفعلونه على الوجه الذي أمر ويحبونه، ويوافقونه في كراهية ما نهى عنه ؛ فيتركونه، وفيما يعطيهم من الخير والرزق فيثيبونه ويشكرونه؛ فلذلك ينالون محبته ومثوبته، وفيما يبتليهم به فيصبرون عليه ملتمسين أجره ومثوبته فيشكرونه، والله يحب الشاكرين، ويحسنون والله يحب المحسنين ، ويقسطون والله يحب المقسطين، ويوترون والله وتر يحب الوتر ، فهذه المناسبة موافقة الله تعالى ـ أعني حبَّ ما أمر به وفِعْلَه، وبغضَ ما نهى عنه وتَرْكَه ـ حقٌّ وهي من صفات عباد الله الكاملة، وهي من جليل الأعمال الصالحة، ومن يحب صفات الكمال ويثيب عليها أكمل ممن لا فرق عنده بينها وبين أضدادها، والذي يتصف بما يحب الله فعلاً وتركاً هو حبيب الله.

الرابع : أن الذين يعطلون الله تعالى من صفة المحبة؛ فينفون عنه أنه يُحِب ويُحَب آخر أمرهم أنه لا يبقى عندهم فرق بالنسبة إلى الله بين أوليائه وأعدائه ولا بين أهل الإيمان والكفر ، ولا بين ما أمر به وما نهى عنه ، ولا بين بيوته ومساجده ومواطن معصيته والشرك به، وهذا معارضة للمنقول ومكابرة للمعقول.

(١) الغضب لله جل وعلا من صفاته الفعلية اللائقة بجلاله والتي لا نقص فيها بوجه من الوجوه، فإن ذلك قد أثبته الله تعالى لنفسه وأثبته النبي ﷺ لربه فيما صح عنه من سنته، قال تعالى : ﴿ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ ﴾ [الفتح :٦] ، الآية وفي حديث الشفاعة يقول كل واحد من أولي العزم من الرسل عليهم الصلاة والسلام : « **إن ربي قد غضب اليوم غضباً لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله، نفسي، نفسي، نفسي الخ** .. » ، وأيضاً فإن الغضب على من يستحقه من القادر على عقوبته بعدلٍ صفةُ كمال، والرسل عليهم الصلاة والسلام كما أنهم جاءوا بإثبات

[محمد :٢٨] وقوله تعالى: ﴿ كَرِهَ ٱللَّهُ ٱنۢبِعَاثَهُمۡ فَثَبَّطَهُمۡ ﴾[التوبة :٤٦][1] .

ومن السنة : قول النبي ﷺ : «**ينزل[2] ربنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء**

صفة الرضا من الله تعالى على المطيع لطاعته وشكر نعمته، جاءوا بإثبات صفة الغضب له سبحانه على من يستحقه من أهل معصيته وعقوبته.

وبذلك صاروا مبشرين ومنذرين وقامت بهم حجة الله تعالى على المكلفين وتبين الفضل والعدل من رب العالمين.

(١) مذهب سلف الأمة وأئمتها إثبات صفات الكراهية والمقت والسخط واللعن ونحو ذلك من الصفات الواردة في صريح القرآن وصحيح السنة على الوجه اللائق بجلال الله تعالى وعظمته ، وعلى الكيفية التي يعلمها سبحانه ، ومنع التأويل ـ أي التحريف ـ الذي يصرفها عن حقائقها كما يقولون ذلك في مثل السمع والبصر وسائر الصفات الذاتية والفعلية، فيثبتون هذه الصفات وغيرها من صفات الأفعال الاختيارية التي يفعلها جل وعلا متى شاء إذا شاء وكيف شاء، وهذا هو الذي جاءت به الرسل عليهم الصلاة والسلام : أن الله تعالى يحب بعض الأمور المخلوقة ويرضاها لموافقتها للشرع، ويكره أموراً أخرى ويسخطها ويمقتها ويأباها، وأن أعمال العباد يرضيه منها ما وافق شرعه وكان خالصاً لوجهه ، ويمقت ويكره ما خالف الشرع، فهذه أفعال له سبحانه وصفاتٌ ثابتةٌ بنصوص الوحي .

(٢) ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي هريرة ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: « **ينزل ربُّنا تبارك وتعالى كل ليلة إلى سماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الأخير فيقول : من يدعوني فاستجيب له، من يسألني فأعطيه، من يستغفرني فاغفر له** » وعن عائشة ـ رضي الله عنها ـ أن رسول الله ﷺ قال: « **ما من يوم أكثر من أن يعتق الله فيه عبداً من النار من يوم عرفة، وإنه ليدنو ثم يباهي بهم الملائكة فيقول: ما أراد هؤلاء** » . رواه مسلم .

الدنيا » ، وقوله : « يعجب[1] ربك من الشاب ليست له صبوة » وقوله : «يضحك[2] الله إلى رجلين قتل أحدهما الآخر ثم يدخلان الجنة » .

فهذا وما أشبهه مما صح سنده، وعُدلت رواته؛ نؤمن به، ولا نرده، ولا نجحده، ولا نتأوّله بتأويل يخالف ظاهره، ولا نشبهه بصفات المخلوقين، ولا

فنزولُ الله تعالى إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر ثابتٌ بالأحاديث الصحيحة، وهكذا دنوّه عشية عرفة، وإثبات مجيئه يوم القيامة لفصل القضاء كل ذلك ثابت بالنصوص الصحيحة على ما يليق بجلال الله وعظمته، وهو حق على حقيقته، وبالكيفية التي يعلمها الله تعالى وأنه ليس كمثله شيء، فنحن نؤمن بذلك ونثبته لله تعالى على ظاهره ـ لما جاء بشأنه من النصوص ـ ، ونعمل بمقتضاه فلا نرد ما أخبر الله تعالى به عن نفسه ، ولا نصرف تلك الألفاظ عن ظاهرها، ولا نحرفها عن حقائقها، ولا نمثل الله تعالى بشيءٍ من خلقه، ولا نعطله من صفات كماله .

(١) **العَجَب** : من الصفات الفعلية الثابتة لله عز وجل بالآية الصريحة والحديث الصحيح وإجماع السلف الصالح فقد قُرئ قول الله تعالى : ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات :١٢] بضم التاء من عجبتُ وهي قراءة صحيحة، وفيها إضافة العجب إلى الله تعالى، وإن كان فتحها أشهر، وقد روى البخاري في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه : « **عجب الله تعالى من قوم يدخلون الجنة بالسلاسل** » وهو عجب لائق بجلال الله تعالى وعظمته، سببه خروج الشيء عن نظيره، فليس كعجب المخلوقين، الذي يحمل عليه الجهل وخفاء السبب.

(٢) **الضحك** : من الصفات الفعلية الخبرية الثابتة لله تعالى على ما يليق بجلاله وعظمته، وهي ثابتة بالسنة الصحيحة وإجماع الصحابة والتابعين لهم بإحسان، ودليلها قوله ﷺ: « **يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة** » .

بسِمَات المحدَثين، و نعلم أن الله سبحانه وتعالى، لا شبيه له، ولا نظير : ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الشورى :١١] . وكل ما تُخيِّلَ في الذهن ، أو خطر بالبال ، فإن الله تعالى بخلافه. ومن ذلك قوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴾ [طه :٥][1]، وقوله تعالى : ﴿ ءَأَمِنتُم مَّن فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾ [الملك :١٦]،

---

(١) في سبع آياتٍ كريماتٍ أثبت الله تعالى لنفسه استواءَه على عرشه على ما يليق بجلاله كقوله تعالى : ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ ، وقوله سبحانه : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ [الفرقان :٥٩] ، وقوله سبحانه : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥]، ولفظ ﴿ ٱسْتَوَىٰ ﴾ في اللغة إذا عُدي بـ«على» أفاد العلو والارتفاع، والقصد والصعود والاستقرار، وثبت بالسنة الصحيحة المستفيضة ما يعلم به بالاضطرار أن النبي ﷺ أخبر الأمة أن ربهم الذي يعبدونه فوق كل شيء ، وأنه مستوٍ على العرش الذي هو سقف السموات.

وأجمع السلف الصالح على إثبات تلك الصفة لله تعالى فإنه ـ كما هو متقرر لديهم أن الله تعالى بكل شيء عليم وعلى كل شيء قدير، ـ فمتقررٌ لديهم أن الله تعالى فوق العرش فوق جميع المخلوقات ، فهم مثبتون لعلو الله تعالى على خلقه واستوائه على عرشه، فيعتقدون أن ربهم الذي يعبدونه فوق العرش.

واستواء الله على عرشه هو علوه عليه، فصفةُ الاستواء من الصفات السمعية المعلومة بالخبر وهي من الصفات الفعلية، فالاستواء فعلٌ فعله الله سبحانه بمشيئته وقدرته، وهو مختصٌ بالعرش لا يُضاف إلى غيره من المخلوقات، فالله تعالى مستوٍ على عرشه بالكيفية التي يعلمها جل شأنه، وبحد يعلمه سبحانه، فالاستواء معلومٌ من حيث المعنى ـ بمقتضى اللغة، التي نزل بها القرآن ونطق بها الرسول ﷺ وخُوطب بها القوم الذين بُعث فيهم ـ والكيف مجهول، والإيمان به واجب ، والسؤال عن الكيفية بدعة .

وقول النبي ﷺ : **«ربُّنا الله الذي في السماء تقدَّس اسمُك»** . وقال للجارية : **«أين الله؟»**. قالت : في السماء. قال : **« أعتقها فإنها مؤمنة »** . رواه مالك بن أنس، ومسلم وغيرهما من الأئمة .

وقال النبي ﷺ لحصين : **« كم إلهاً تعبد؟ »** قال : سبعة ، ستة في الأرض وواحدٌ في السماء قال : **«من لرغبتك ورهبتك؟»** . قال : الذي في السماء، قال : **«فاترك الستة، واعبد الذي في السماء، وأنا أعلمك دعوتين »** . فأسلَم، وعلّمه النبي ﷺ أن يقول: **« اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي »** .

وفيما نقل من علامات النبي ﷺ و أصحابه في الكتب المتقدمة : **« أنهم يسجدون بالأرض ويزعمون أن إلههم في السماء »**(١) .

---

(١) دلت على علو الله تعالى على خلقه وفوقيته أدلة لا تخفى شهرة ولا تحصى كثرة ودل عليه إجماع السلف والعقل والفطرة، فمن ذلك:

أولاً : النصوص المصرحة بفوقيته قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلۡقَاهِرُ فَوۡقَ عِبَادِهِۦۚ﴾ [الأنعام : ١٨] وقال سبحانه عن الملائكة عليهم السلام : ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ﴾ [النحل :٥٠] .

ثانياً : إخباره تعالى بصعود الأشياء، وعروجها إليه ونزولها منه كقوله تعالى : ﴿ تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ﴾ [المعارج :٤]، وقوله : ﴿إِلَيۡهِ يَصۡعَدُ ٱلۡكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلۡعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرۡفَعُهُۥۚ ﴾ [فاطر :١٠] ، وقوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٞ مِّن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّۖ ﴾ [النحل :١٠٢] .

ثالثاً : تصريحه برفع بعض خلقه إليه كقوله تعالى عن عيسى عليه السلام : ﴿ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ﴾ [النساء :١٥٨] .

رابعاً : تصريحه تعالى بعلوه المطلق الدال على جميع أنواع العلو ذاتاً وقدراً وأفعالاً

....

قال تعالى : ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴾ [البقرة :٢٥٥] ، وقوله : ﴿ سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴾ [الأعلى :١] فالعلي والأعلى هو الذي له العلو المطلق من جميع الوجوه :

١- **علو الذات** : وهو كونه فوق العرش فوق جميع المخلوقات.

٢- **علو القدر** : فله من كل صفة كمال أعلاها .

٣- **علو القهر** : ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام :١٨] ، فالخلق كلهم في قبضته وتحت قهره.

خامساً : تخصيصه أن بعض المخلوقات بأنها عنده وأن بعضها أقرب إليه من بعض. كقوله تعالى : ﴿ ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ ﴾ [غافر :٧] ، وقوله : ﴿ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴾ [الأنبياء :١٩] .

سادساً : تصريحه تعالى بأنه يدبر الأمر من السماء إلى الأرض ثم يعرج إليه، قال تعالى : ﴿ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ ﴾ [السجدة :٥] .

سابعاً : إخباره سبحانه تعالى بأنه استوى على العرش الذي هو أعلى مخلوقاته، وقد جاء ذلك في سبع مواضع على وجه التمدح والثناء بذلك على نفسه، وقد جاءت مقرونة بما يبهر العقول من صفات كماله، ونعوت عظمته وجلاله وعظيم تدبيره وحكمته في أفعاله.

ثامناً : ومن السنة الصحيحة سؤال النبي ﷺ للجارية : « **أين الله ؟** » فقالت : في السماء فقال لسيدها : « **اعتقها فإنها مؤمنة** » ، فأقر النبي ﷺ الجارية على قولها : إن الله في السماء ، وشهد لها بالإيمان، فهو من أصرح الأدلة على إثبات العلو لله تعالى والفوقية وإبطال ما قالته المعطلة الجهمية وقال ﷺ : « **ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؟** » رواه مسلم، وكانت أم المؤمنين زينب ـ في حياة النبي ﷺ تقول

وروى أبو داود في ـ سننه ـ أن النبي ﷺ قال: « **إن ما بين سماء إلى سماء مسيرة كذا وكذا** » وذكر الخبر إلى قوله: « **وفوق ذلك العرش، والله سبحانه فوق ذلك** » ، فهذا وما أشبهه مما أجمع السلف ـ رحمهم الله ـ على نقله ، وقبوله، ولم يتعرضوا لردِّه ، ولا تأويله ولا تشبيهه ، ولا تمثيله . سُئل الإمام مالك بن أنس ـ رحمه الله ـ فقيل: يا أبا عبد الله : ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ﴾ [طه :٥](١) كيف استوى؟ فقال : الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول،

مفتخرة على أزواج النبي ﷺ : « زوّجكنّ أهاليكنّ وزوّجني الله من فوق سبع سموات » . رواه البخاري.

تاسعاً : ونقل ابن عبد البر ـ رحمه الله ـ عن علماء الصحابة والتابعين الذين حُمِل عنهم التأويل قالوا في تأويل قوله تعالى : ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجۡوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمۡ وَلَا خَمۡسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمۡ ﴾ [المجادلة :٧] الآية : هو على العرش وعلمه في كل مكان، وما خالفهم مَن يُحتَج به.

عاشراً : وقال الأوزاعي : « كنا والتابعون متوافرون نقول : إن الله فوق عرشه ونؤمن بما وردت به النصوص من صفاته » .

فكل هذه الأنواع من النصوص تدل دلالة قطعية على إثبات علوه سبحانه على خلقه وأنه تعالى فوق عرشه بائنٌ من خلقه ليس بين طبقات السماء ولا في الأرض، ولا تحت الأرض ولا في كل مكان، كما يزعم أهل الأهواء القائلون بالباطل، تعالى الله وتقدس عن قولهم علواً كبيراً ﴿ كَبُرَتۡ كَلِمَةً تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ [الكهف :٥] .

(١) **العرش** : سرير ذو قوائم تحمله الملائكة وهو كالقبة على العالم وهو سقف المخلوقات، ولا يقدر قدرَه إلا الله تعالى قال ﷺ : « **عرشه على الماء وبيده الأخرى الميزان يخفض ويرفع** » متفق عليه. وقال ﷺ : « **إذا سألتم الله فاسألوه**

والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة، ثم أمر بالرجل فأخرج .

فصل

ومن صفات الله تعالى : أنه متكلم[1] بكلام قديم ، يسمعه منه من شاء من خلقه، سمعه موسى عليه السلام منه من غير واسطة، وسمعه جبريل

الفردوس، فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة ومنه تفجر أنهار الجنة وسقفه عرش الرحمن » رواه البخاري. وجاء في الحديث الصحيح في صفة الكرسي الذي أخبر الله تعالى عنه أنه وسع السموات والأرض، وأنه بالنسبة للعرش كحلقة ألقيت بين ظهري فلاة، والفلاة الأرض الواسعة التي تكون مرعى لأنعام الناس.

(١) **الكلام** : من صفات الله الكريمة العظيمة الدالة على كماله وجلاله ، وهو قديم النوع متجدد أو حادث الآحاد ، فهو من الصفات الذاتية الفعلية على النحو التالي :

أ- من حيث تعلقها وقيامها بالرب سبحانه واتصافه بها، فهو من الصفات الذاتية.

ب- ومن حيث تعلقها بقدرة الله ومشيئته، فهو من الصفات الفعلية، فإذا كان من المعلوم أن الله تعالى لم يزل ولا يزال كامل القدرة نافذ المشيئة :

١- عُلم أنه سبحانه لم يزل ولا يزال متكلماً متى شاء إذا شاء، كيف شاء.

٢- ولأن الكلام من أعظم صفات الكمال التي يستحيل نفيها عن الله تعالى.

٣- وكلماته غير متناهية فلا تفنى ولا تبيد قال تعالى : ﴿ قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّى لَنَفِدَ ٱلْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّى وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِۦ مَدَدًا ﴾ [الكهف :١٠٩] ، فلم يقدر الله تعالى حق قدره من زعم أن كلامه مخلوق من جملة المخلوقات التي تنتهي، وتصوُّر هذا القول كافٍ في ردِّه والقناعة ببطلانه.

* فهو تعالى متكلم إذا شاء كيف شاء بما شاء ، ولم يزل ولا يزال بصفة الكلام معروفاً وموصوفاً .

* وكلامه تعالى من صفاته الذاتية الفعلية ـ فهو غير مخلوق ـ كسائر صفات أفعاله، قال تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا ﴾ [النساء :١٦٤] ، فعبر سبحانه بالمصدر

عليه السلام، ومن أذن له من ملائكته ورسله، وأنه سبحانه يكلّم المؤمنين في الآخرة، ويكلمونه، ويأذن لهم فيزورونه، قال الله تعالى : ﴿ وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا ﴾ [النساء :١٦٤] ، وقال سبحانه: ﴿ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي ﴾ [الأعراف :١٤٤]، وقال سبحانه : ﴿مِّنۡهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة :٢٥٣]، وقال سبحانه : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحۡيًا أَوۡ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ ﴾ [الشورى :٥١] ، وقال سبحانه : ﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ﴾ [طه :١٢]، وقال سبحانه : ﴿إِنَّنِيٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدۡنِي ﴾ [طه :١٤] وغير جائز أن يقول هذا أحد غير الله .

وقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه : « **إذا تكلم الله بالوحي، سمع صوته أهلُ السماء** » ، رُوي ذلك عن النبي ﷺ .

الدال على الحقيقة لنفي توهم المجاز، وقال تعالى ﴿ وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦ سَبۡعَةُ أَبۡحُرٖ مَّا نَفِدَتۡ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴾ [لقمان :٢٧]، ذلك لأن أمره كلام ونهيه كلام، وعطاءه كلام، ومنعه كلام، وخلقه كلام، وإفناءه كلام، فمتعلقات الكلام عامة عظيمة وكثيرة.

* يتكلم تعالى بما يتعلق بذاته وصفاته وأسمائه وأفعاله، وقد أخبر تعالى عن ذلك وأبدى وأعاد.
* ويتكلم بما يتعلق بجميع مخلوقاته : بالأحكام القدرية، والأحكام الشرعية، والأحكام الجزائية.
* وكلماته كلها حق وعدل وصدق، فإنه تعالى يقول الحق صدقاً في الأخبار ، ومن أصدق من الله قيلاً ، وعدلاً في الأحكام، والأوامر والنواهي ﴿ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ ﴾ [المائدة :٥٠] .

وروى عبد الله بن أنيس عن النبي ﷺ أنه قال: «**يحشر الله الخلائق يوم القيامة عراةً حفاةً غرلا بهما فيناديهم بصوت يسمعه مَن بَعُد، كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك، أنا الديّان**». رواه الأئمة، واستشهد به البخاري.

وفي بعض الآثار: أن موسى عليه السلام ليلة رأى النار، فهالته ففزع منها، فناداه ربه: «يا موسى»، فأجاب سريعاً استئناساً بالصوت. فقال: «لبيك، لبيك، أسمع صوتك، ولا أرى مكانك، فأين أنت؟» فقال: «أنا فوقك، وأمامك، وعن يمينك، وعن شمالك، فعلم أن هذه الصفة لا تنبغي إلا لله تعالى». قال: كذلك أنت يا إلهي، أفكلامك أسمع، أم كلام رسولك؟ قال: «بل كلامي يا موسى».

فصل

ومن كلام الله سبحانه القرآن العظيم[1]، وهو كتاب الله المبين، وحبله المتين، وصراطه المستقيم، وتنزيل رب العالمين، نزل به الروح الأمين، على

---

(١) القرآن العظيم من أجلّ كلام الله سبحانه وأشرفه وأعلاه، وكل كلامه جليل وشريف وعظيم.

* وكذلك الكتب التي أنزلها على رسله، عليهم الصلاة والسلام، تكلم الله تعالى بها حقيقة.

* ويكلم سبحانه عباده، وتكليمه إياهم نوعان:

الأول: تكليمه لعباده بلا واسطة كما كلّم موسى بن عمران عليه السلام، وكما كلَّم الأبوين عليهما السلام، وكما خاطب محمد ﷺ ليلة أسري به، وعرج به إلى السموات العلى حين فرض عليه الصلاة .. الحديث وفي آخره قال تعالى: «**قد أمضيت فريضتي وخففت عن عبادي ما يبدل القول لديّ**»، وكما يخاطب سبحانه أهل الموقف يوم القيامة وأهل الجنة فيكلمهم ويكلمونه.

قلب سيد المرسلين، بلسان عربي مبين، منزل غير مخلوق ، منه بدأ، وإليه يعود، وهو سور محكمات، وآيات بينات، وحروف وكلمات .

من قرأه فأعربه فله بكل حرف عشر حسنات، له أول وآخر، وأجزاء وأبعاض، متلوٌّ بالألسنة، محفوظٌ في الصدور، مسموع بالآذان، مكتوب في المصاحف، فيه محكم ومتشابه، وناسخ ومنسوخ، وخاص وعام، وأمر ونهي ﴿ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾ [فصلت :٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء :٨٨] ، وهو هذا الكتاب العربي الذي قال فيه الذين كفروا : ﴿ لَن نُّؤْمِنَ بِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ ﴾ [سبأ :٣١] ، وقال بعضهم : ﴿إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ﴾ [المدثر :٢٥]، فقال الله سبحانه وتعالى : ﴿ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴾ [المدثر :٢٦]، وقال بعضهم : هو شعر، فقال الله تعالى: ﴿ وَمَا عَلَّمْنَـٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴾ [يس : ٦٩] ، فلما نفى الله عنه أنه شعر، وأثبته قرآناً، لم يبقَ شبهة لذي لب في أن القرآن هو هذا الكتاب العربي الذي هو كلمات، وحروف، وآيات، لأن ما ليس كذلك لا يقول أحد : إنه شعر ، وقال عز وجل : ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة :٢٣] ، ولا يجوز أن يتحداهم بالإتيان بمثل ما لا يُدْرَى ما هو، ولا يعقل، وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَـٰتٍ ۙ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا

الثاني : تكليمه لعباده بواسطة إما بالوحي الخاص للأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وإما بإرساله إليهم رسولاً يكلمهم عن أمره بما يشاء ، وقد ذكر سبحانه هذه الأنواع بقوله : ﴿ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ﴾ [الشورى :٥١] .

﴿ٱئۡتِ بِقُرۡءَانٍ غَيۡرِ هَٰذَآ أَوۡ بَدِّلۡهُۚ قُلۡ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلۡقَآيِٕ نَفۡسِيٓۖ﴾ [يونس :١٥] ، فأثبت أن القرآن هو الآيات التي تتلى عليهم، وقال تعالى ﴿بَلۡ هُوَ ءَايَٰتُۢ بَيِّنَٰتٞ فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ [العنكبوت :٤٩] ، وقال تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ (٧٧) فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ (٧٨) لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ (٧٩)﴾ [الواقعة :٧٧-٧٩] ، بعد أن أقسم على ذلك، وقال تعالى : ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم :١]، ﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾ [الشورى :١،٢] ، وافتتح تسعاً وعشرين سورة بالحروف المقطعة، وقال النبي ﷺ : « **من قرأ القرآن فأعربه، فله بكل حرف منه عشر حسنات ، ومن قرأه ولحن فيه فله بكل حرف حسنة** » حديث صحيح .

وقال النبي ﷺ : « **اقرؤوا القرآن قبل أن يأتي قوم يقيمون حروفه إقامة السهم لا يجوز تراقيهم يتعجلون أجره ولا يتأجلونه** » .

وقال أبو بكر وعمر ـ رضي الله عنهما ـ : «إعراب القرآن أحب إلينا من حفظ بعض حروفه» . وقال علي ـ رضي الله عنه ـ : «من كفر بحرف فقد كفر به كله».

واتفق المسلمون على عَدِّ سور القرآن وآياته وكلماته وحروفه . ولا خلاف بين المسلمين في أنَّ مَنْ جَحَدَ من القرآن سورة، أو آية ، أو حرفاً ، أو كلمة متفقاً عليه؛ أنه كافر، وفي هذا حجة قاطعة على أنه حروف[1] .

---

(١) أنكرت المعتزلة وغيرهم من فرق المعطلة من الجهمية كلام الله تعالى وزعموا أن الله تعالى لا يتكلم حقيقة فاتفقوا على التعطيل ورد التنزيل فضلوا في سبل التحريف والتخريف وأضلوا غيرهم وذلك من وجوه :

الأول : أنهم ردوا ما جاءهم من ربهم من الهدى واتبعوا الشبهات والهوى.

الثاني : أنهم تنقصوا ربَّهم جل وعلا إذ عطلوه من صفة عظيمة من صفات كماله وأثبتوا له سبحانه ما عاب به العجل الذي اتخذه اليهود إلهاً، قال تعالى : ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًاۘ﴾ [الأعراف :١٤٨]، وقال تعالى : ﴿أَفَلَا يَرَوۡنَ أَلَّا يَرۡجِعُ

فصل

والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة بأبصارهم، ويزورونه[(١)] ويكلمهم، ويكلمونه، قال الله تعالى: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]

إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه: ٨٩].

الثالث: لازم قولهم اتهام نبيهم ﷺ في تلقيه وفهمه عن ربه أو في بلاغته وفصاحته وبيانه، حيث لم يبين لهم ما يجب أن يعتقدوه في ربهم بما يشفي ويكفي.

الرابع: أنهم تنقّصوا الصحابة وسلف الأمة ـ رحمهم الله ـ في فهمهم وعلمهم.

الخامس: مقتضى قولهم إنكار القدر والشرع وتكذيب المرسلين وإنكار الجزاء، فإن تدبير الملك بالأمر الكوني قول وكلام قال تعالى: ﴿ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴾ [النحل: ٤٠]، والشرع إنما هو أوامر ونواهي ربانية، ووعد ووعيد، وخبر وقصص وذلك كله بكلام مسموع الصوت معلوم المعنى والمراد، وكذلك الرسل عليهم الصلاة والسلام إنما جاءوا بالوحي الإلهي الذي تلقته من ملائكة الوحي وملائكة الوحي تلقته عن الله تعالى، فلازم قولهم تعطيل القدر والشرع وتكذيب رسالات المرسلين، فارتكبوا هذه العظائم وجنوا هذه المآثم وأضلوا من أضلوا من المكلفين من الجن وبنى آدم، اعتماداً على ما تلقوه من شياطين الإنس والجن، وما تلقوه من علوم الرومان واليونان، وما أملته عقولهم التي هي محل القصور والنقصان.

(١) أجمع أهل السنة والجماعة على أن المؤمنين يرون ربهم تبارك وتعالى يوم القيامة بأعين وجوههم، على ما أخبر به الله تعالى بقوله: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وبشر به النبي ﷺ بقوله: « **إنكم سترون ربكم يوم القيامة كما ترون القمر لا تُضامون في رؤيته** ».

والنصوص في رؤية المؤمنين لربهم كثيرة جداً، وقد تواترت بها الأحاديث عن رسول الله ﷺ، وتلقاها المؤمنون بالله ورسله بكل قبول، وارتياح، واستبشار

وانشراح ، وكلهم يرجو ربه ويسأله أن يكون ممن يراه يوم يلقاه، في عرصات القيامة، وفي الجنة دار الكرامة، وفي الدعاء المأثور يقول ﷺ : « **وأسألك لذة النظر إلى وجهك والشوق إلى لقائك في غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة** » ، ومن أعظم أسباب حصولها والفوز بها الإيمان بها والتسليم لله ولرسوله فيها، والمحافظة على صلاتي الفجر والعصر على الوجه الذي شرعه الله وارتضاه.

فإنها ـ بحق ـ أعظم نعمة ينعم الله بها على عباده، وأعظم كرامة أعدها الله للمؤمن يوم معاده، وهي من الصفات الخبرية ـ والرب تعالى يُرَى ولا يُدرَك (أي لا يُحَاط به) ـ لقوله تعالى : ﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴾ [الأنعام :١٠٣] ، فيرون ربهم تبارك وتعالى عياناً بأبصارهم ولا تدركه أبصارهم، أي لا تحيط به ، فإنه تعالى بكل شيء محيط، ولا يحيط به من خلقه أحد.

فأهل السنة يؤمنون بأن الله تعالى يتجلى لعباده في الموقف وفي الجنة من فوقهم ويخاطبهم ويسلم عليهم ويرونه بأبصارهم كما يرون الشمس ليس دونها سحاب.

للأدلة الكثيرة الدالة على ذلك منها :

* دلالة القرآن عليها صراحة.

* دلالة السنة عليها صراحة.

* أن الله تعالى لما حجب أعداءه عن رؤيته حال السخط دل على حصولها لأوليائه حال الرضى.

* وأما الجواب عن قول الله تعالى لموسى عليه السلام ﴿ لَن تَرَىٰنِي ﴾ [الأعراف : ١٤٣] ـ لما سأل ربه الرؤية في الدنيا ـ فمن وجوه :

أحدها : أن موسى ـ عليه السلام ـ لا يسأل إلا أمراً ممكناً .

وقال تعالى : ﴿ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾ [المطففين :١٥] ، فلما حجب أولئك في حال السُّخط، دلَّ على أن المؤمنين يرونه في حال الرضى، وإلا لم يكن بينهما فرق ، وقال النبي ﷺ : « **إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر، لا تُضامون في رؤيته** » . حديث صحيح متفق عليه. وهذا تشبيه للرؤية بالرؤية ، لا للمرئي بالمرئي ، فإن الله تعالى لا شبيه له ، ولا نظير .

فصل

ومن صفات الله تعالى أنه الفعَّال لما يريد(1) ،

الثاني : أن الله تعالى لم ينكر عليه سؤاله الرؤية؛ فدل على أن مطلوبه ليس محالاً.

الثالث : أن الله تعالى لم ينفِ رؤيته مطلقاً، بل علَّقها على أمر ممكن تقع عند وقوعه.

الرابع : أن ما استدلوا به على نفي الرؤية وهو قوله تعالى﴿ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴾ [الأنعام :١٠٣] قد جاء في سياق التمدح، والمدح إنما يكون بالصفات الثبوتية ، إذ العدم المحض ليس كمالاً يُتمدح به وإنما يُمدح تعالى بالنفي إذا تضمن أمر وجودياً، وهو كمالُ ضد المنفي، أي أن الأبصار تراه ولكن لا تحيط به لعظمته سبحانه.

(١) في قوله تعالى ﴿ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴾ [البقرة :٢٥٣] :

* إثبات الفعل حقيقة لله عز وجل على ما يليق بجلاله سبحانه.
* وأن القدرة عليه صفة كمال.
* وأنه سبحانه لم يزل فعالاً لما يريد، ولم يزل ولا يزال موصوفاً بصفات الكمال.
* والفعل من لوازم الحياة، والرب لم يزل حياً فلم يزل فعالاً ، وأفعاله سبحانه كصفاته قائمة به ولولا ذلك لم يكن فعالاً ولا موصوفاً بصفات الكمال.
* وأفعاله سبحانه ـ أي الصفات الفعلية ـ نوعان :

لا يكـــــــــون شـــــــــيءٌ إلا بإرادتـــــــــه(١)،

الأول : أفعالٌ لازمة لا تتعدى إلى مفعول مثل : استوى ـ جاء ـ نزل .

الثاني : أفعـالٌ متعدية ، وهي ما تعدى إلى مفعول مثل : خلق ـ رزق ـ هدى ـ أضل .

وقـد دلـت عـلى ذلـك النصـوص التي لا تُحصى، وهي أفعال حقيقية، فليست مجازاً ولا كأفعال خلقه بل أفعاله تليق به سبحانه، فإنه تعالى يفعل بإرادته ومشيئته، فإذا أراد فعل شيء فعله، ولا يزال كذلك لأنه تعالى ساق ذلك ـ في معرض المدح والثناء على نفسه ـ وأن ذلك من كماله فلا يجوز أن يكون الله تعالى عادماً لذلك الكمال في وقت من الأوقات.

* فـإن إرادته وفعله ـ سبحانه ـ بينهما تلازم ؛ فما أراد أن يفعله فعله، وما فعله فقـد أراده، بخلاف المخلوق، فإنه قد يفعل ما لا يريد ، ويريد ولا يفعل ما يريد ، فما ثمَّ فعَّال لما يريد إلا الله تعالى.

* وإراداتـه ـ سـبحانه ـ المتعلقةُ بفعله متعددةٌ بحسب الأفعال ، فإن كل فعلٍ لـه إرادةٌ تخصه.

* أما إرادته المتعلقة بالعبد فنوعان :

أ- إرادة أن يجعله فاعلاً فيكون كذلك، وذلك متعلق بإرادته القدرية الكونية.

ب- إرادة الفعـل مـنه وذلـك قد يتحقق وقد لا يتحقق ، وذلك متعلق بالإرادة الشرعية الدينية.

(١) في قوله تعالى ﴿ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴾ [هود :١٠٧] دلالةٌ على :

* إثبات الإرادة لله تعالى على ما يليق بجلاله.

* وأنـه تعـالى لم يزل مريداً بإرادات متعاقبة، فنوع الإرادة قديم، أما إرادة الشيء المعين فإنما يريده سبحانه في وقته.

....

* وأن الإرادة من صفات الفعل، وهي تنقسم إلى قسمين ـ هما نوعا الإرادة ـ :

أ- إرادة كونية قدرية : وهذه مرادفة للمشيئة، فما أراده كوناً وقدراً فلا بد من وقوعه؛ لأنها إرادة متعلقة به، وهو أن يريد سبحانه أن يفعل هو، وهو تعالى له الخلق، فالإرادة الكونية هي المشيئة لما خلقه، وجميع المخلوقات داخلة في مشيئته وإرادته الكونية، وهو تعالى لا يشاء الشيء إلا لحكمة أرادها وغاية سامية أحكمها، فإنه تعالى منزَّه عن العبث واللهو، قال تعالى : ﴿ وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ (١٦) لَوْ أَرَدْنَآ أَن نَّتَّخِذَ لَهْوًا لَّٱتَّخَذْنَٰهُ مِن لَّدُنَّآ إِن كُنَّا فَٰعِلِينَ (١٧)﴾ [الأنبياء ١٦:-١٧] .

ب- إرادة شرعية دينية : وهي متعلقة بالأمر الديني الشرعي، وهو أن يريد من عبده أن يفعل، وهذه مرادفة للمحبة والرضا، فالإرادة الدينية الشرعية المتناولة لجميع ما أمر به سبحانه، وجعله شرعاً وديناً، وهي مختصة بالإيمان والعمل الصالح من فعل لما أمر الله به وترك لما نهى الله عنه، على وجه التعبد لله به، رغبة ورهبة، فالمحبة والرضا أخص من مطلق الإرادة.

*** ومراده سبحانه نوعان :**

أ- مراد يحبه الله ويرضاه ويمدح فاعله ، فموافقته في هذا المراد هي عين محبته وموالاته.

ب- مراد يبغضه ويكرهه ويمقت فاعله ، فموافقته التي يحبها ويرضاها هي ترك ذلك المراد.

* فروق بين الإرادتيين ـ الكونية والشرعية ـ :

أ- أن الإرادة الكونية القدرية : تختص بالأمور الكونية، **والدينية الشرعية** : تختص بالأمور الشرعية.

ولا يخرج شيءٌ عن مشيئته[1]، وليس في العالَم شيءٌ يخرج عن تقديره،

ب- أن الإرادة الكونية : قد يكون المراد بها محبوباً لله تعالى وقد لا يكون محبوباً له، وأما الشرعية : فلا بد أن يكون المراد بها محبوباً.

ج- أن الإرادة الكونية: لابد من وقوع المراد بها، والشرعية: قد يقع المراد وقد لا يقع.

د- أن الإرادة الكونية : عامة في كل شيء، والإرادة الدينية الشرعية : خاصة بالأمور الشرعية، وتجتمع هاتان الإرادتان في طاعة المطيعين وإيمان المؤمنين وتنفرد الكونية في كفر الكافرين ومعصية العاصيين.

(١) مشيئة الله تعالى نافذة ـ أي ماضية ـ لا رادَّ لها ولا صادَّ، فما شاء الله كان وإن لم يشأ الخلق، وما شاء الخلق إن لم يشأ لم يكن ، وقد دل على هذه المرتبة :

أ- القرآن : كما قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير :٢٩]، وقال تعالى : ﴿ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴾ [إبراهيم :٢٧] .

ب- السنة : كقوله ﷺ في الحديث الصحيح : «**ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن**».

ج- إجماع النبيين والمرسلين المتقدمين ـ عليهم الصلاة والسلام ـ من أولهم إلى آخرهم على هذه المرتبة.

د- إجماع المسلمين من أولهم إلى آخرهم على أن ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن.

هـ- جميع الكتب المنزلة من عند الله مثبتة لهذه المرتبة.

و- ودلت على هذه المرتبة الفطرة الصحيحة التي فطر الله عليها الخلق.

ز- وشهدت بذلك أدلة العقول والعيان فليس لأحد إذا قضى شيئاً وشاءه أن يكون إلا الله وحده قال تعالى : ﴿ إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران :٤٧] فهو سبحانه وحده الذي ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن.

ولا يصدر إلا عن تدبيره[1] ، ولا محيدَ عن القدر المقدور ،

(١) تقدير الله تعالى أنواع :

الأول : التقدير الشامل : لجميع المخلوقات بمعنى أن الله تعالى علمها بعلمه المحيط بكل شيء وكتبها في الكتاب الذي لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وشاءها بمشيئته النافذة، وخلقها بقدرته، فجميع الحوادث واقعة بمشيئته النافذة، التي لا يردها شيء، ومخلوقة بقدرته التامة التي لا يعجزها شيء، فما شاء الله منها كان وما لم يشأ لم يكن ، قال تعالى : ﴿ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [التكوير :٢٩]، وقال تعالى : ﴿ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّي شَيْـًٔا ﴾ [الأنعام :٨٠] .

الثاني : التقدير العمري : والمراد به : رزق العبد وعمله، وأجله، وسعادته، وشقاوته، ومن أدلته قوله تعالى: ﴿ يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [الرعد :٣٩] ، وما ثبت في الصحيحين من حديث بن مسعود وفيه : قال ﷺ : **« ثم يُرسل إليه الملَك فيُؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقي أو سعيد »** .

الثالث : التقدير السنوي : وهو ما يحدث في السنة ودليله قوله تعالى في ليلة القدر ﴿ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴾ [الدخان :٤] ، قال ابن عباس ـ رضي الله عنه ـ : يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر، والأرزاق، والآجال، حتى الحُجَّاج يَحُجُّ فلانٌ وفلان . وقال الحسن ومجاهد وقتادة : يُبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة.

الرابع: التقدير اليومي : ودليله قوله تعالى : ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن :٢٩] ، وذكر الحاكم في مستدركه في حديث أبي حمزة الثمالي عن سعيد بن حيدر عن ابن عباس : أن مما خلق الله لوحاً محفوظاً من درة بيضاء، دفتاه من ياقوتة حمراء، قلمه نور، وكتابه نور ، وعرضه ما بين السماء والأرض، ينظر فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة ـ أو مرة ـ ففي كل نظرة منها يخلق ويحي ويميت، ويعز ويذل، ويفعل ما يشاء ، فذلك قوله تعالى ﴿ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴾ [الرحمن :٢٩] .

ولا يتجاوز ما خُطَّ في اللوح المسطور[١]، أراد ما العالَم فاعِلوه، ولو عصمهم

وقال المفسرون ـ رحمهم الله ـ : يُجيب داعياً ، ويفك عانياً ـ أسيراً ـ، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً، إلى ما لا يحصى من أفعاله وإحداثه في خلقه. غغ

* فالتقدير اليومي تفصيل من الحولي، والحولي تفصيل من التقدير العمري، والعمري تفصيل من التقدير العمري الأول يوم أخذ الميثاق، وهو تفصيل من التقدير الأزلي الذي خطه القلم في الإمام المبين، والإمام المبين هو من علم الله عز وجل.

وكذلك منتهى المقادير في آخريتها إلى علم الله عز وجل فانتهت الأوائل إلى أوليته، وانتهت الأواخر إلى آخريته، ذلك لأن ﴿ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم :٤٢] .

(١) الرضاء بالقضاء الذي هو فعل الله تعالى ـ أي تدبيره وحكمه ـ يجب الرضا به فإنه كله حق وحكمة، إحسان أو عدل ، أما المقضي والمقدور ففي الرضا به تفصيل :

أ- ما قدَّره الله وقضاه شرعاً ، أمراً كان أو نهياً ؛ فيجب قبوله والرضا به؛ لأنه حق، والله تعالى يحبه، والرضا به أساس الإسلام.

ب- ما قضاه الله وقدره كوناً فهو ثلاثة أنواع لكل نوع حكم:

١- ما حصل من النعم والطاعات فيجب قبولها والرضا بها لأن ذلك من شكرها.

٢- ما جرى من المصائب المحضة ـ التي لا سبب للإنسان فيها ولا إرادة ـ فيجب الصبر عليها والتسليم لله تعالى بها قال تعالى ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن:١١]، أما الرضا بها فهو مستحب وذلك كله من أسباب ثبات الإيمان وزيادة الهدى.

٣- ما كان من قبيل المعائب ـ وهي المعاصي والسيئات ـ، فلا يجوز الرضا بها ؛ بل يجب بغضها وإنكارها والتوبة إلى الله تعالى منها ، فإنها وإن وقعت بقدر فإنها

لما خالفوه[١] ، ولو شاء أن يطيعوه جميعاً لأطاعوه، خلق الخلقَ وأفعالهم[٢]، وقدَّر أرزاقهم وآجالهم ، يهدي من يشاء برحمته ، ويضل من يشاء

بتسبب من العبد وإرادة واختيار لما لا يرضاه الله تعالى ولا يجوز الرضا بما يخالف الشرع.

(١) قوله : « **أراد ما العالَم فاعلوه** » أي : أن أفعال المكلفين كلها واقعة بإرادته فلا يكون منها شيء إلا وهو مراد الله تعالى :

* فما وافق شرعَه كالطاعات فقد أراده بإرادته الكونية القدرية وإرادته الدينية الشرعية فاجتمعت فيه الإرادتان الكونية ـ فإنه لم يقع إلا بمشيئته ـ ، والدينية ؛ لرضاه به ومحبته .

* وما خالف شرعَه كالمخالفات ـ وهي المعاصي والسيئات ـ فقد انفردت بها الإرادة الكونية ، فإنه أرادها كوناً وإن كان لا يرضاها شرعاً لما له من الحِكَم في ذلك ومنها :

١ - ابتلاء العباد من حيث أنه سبحانه أوجد المخالفات والمعاصي ونهاهم عن اقترافها، وجعَلهم قادرين على فعلها، فينظر هل يطيعوه حيث نهاهم عنها ، أم يعصوه ويقعوا فيها .

٢- تبيين شؤم المعاصي وسوء عواقبها في الدنيا والآخرة ، فإنها لو لم تقع لم يعرف الناس ذلك.

٣- التوبة على التائبين ، فيدخل العباد على ربهم من باب الذل.

(٢) **وجه كون الله خالقاً لأفعال العباد :**

أ- أن الفعل من صفات العبد ، والعبد وفعله مخلوقان لله تعالى.

ب- أن الفعل صادر عن إرادة وقدرة من العبد والله تعالى خالق إرادة العبد وقدرته وهما سبب العمل ، وخالق السبب خالق للمسبَّب ، فنسبة فعل العبد إلى

بحكمته[1] قال الله تعالى : ﴿ لَا يُسْئَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْئَلُونَ ﴾ [الأنبياء :٢٣] ، قال الله تعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴾ [القمر :٤٩] ، وقال تعالى : ﴿ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾ [الفرقان : ٢] ، وقال تعالى ﴿ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ﴾ [الحديد :٢٢] ، وقال تعالى : ﴿ فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا ﴾ [الأنعام :١٢٥] .

خلق الله نسبة مسبَّب إلى سببه فنسبته إلى الله تعالى نسبة خلق وتقدير، ونسبته إلى العبد نسبة مباشرة وتسبب فينسب إليه كسباً وتحصيلاً، له أجره وعليه وزره كما قال تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ۗ ﴾ [البقرة :٢٨٦] ، أي لها ما كسبت من طاعة وعليها ما اكتسبت من إثم.

(١) استدل العلماء على إثبات القدر بشمول القدرة والعلم، كما قال تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [هود :٤] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ [الأنفال :٧٥] ، فذلك عام يتناول كل شيء، فيدخل فيه أفعال العباد، من الطاعات والمعاصي فإنها واقعة بعلم الله تعالى وداخلة تحت قدرته ومشيئته، وكما أنه تعالى عالم بها مريد لها كوناً، وهم الفاعلون لها المبتغون لها طلباً وكسباً، فإنها واقعة بمحض اختيارهم وقدرتهم ومشيئتهم، ومشيئتهم تابعة لمشيئة ربهم قال تعالى : ﴿ لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [التكوير :٢٨-٢٩] . وثوابهم وعقابهم على إرادتهم الأعمال وسعيهم وفعلهم لها واستعمالهم قدراتهم وقواهم فيها لا على علم الله السابق ومشيئته العامة، فمن أراد طاعة وسعى في تحقيقها أثابه الله، ومن أراد معصية وسعى فيها كان مستحقاً لعقاب الله، فإرادتهم وسعيهم واستعمالهم ما آتاهم الله من القوة والقدرة في أعمالهم هو كسبهم الذي يترتب عليه الثواب والعقاب.

روى ابن عمر أن جبريل عليه السلام، قال للنبي ﷺ : ما الإيمان؟ قال : « **أن تؤمن بالله، وملائكته ، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وبالقدر خيره وشره** » . فقال جبريل : « **صدقتَ** » . رواه مسلم .

وقال النبي ﷺ : « **آمنت بالقدر خيره وشره، وحلوه ومره** »، ومن دعاء النبي ﷺ الذي علمه الحسن بن علي يدعو به في قنوت الوتر : « **وقني شر ما قضيت** » .

ولا نجعل قضاء الله وقدره حجة لنا في ترك أوامره واجتناب نواهيه(١)، بل يجب أن نومن ونعلم أن لله علينا الحجة بإنزال الكتب، وبعثة الرسل.

---

(١) لا حجة للعاصي على فعل المعصية وذلك لأمور :

الأول: أن الله تعالى أضاف العمل إلى العامل وجعله كسباً له كما قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر :١٧] ولو لم يكن له اختيار في الفعل وقدرة عليه ما أضافه الله تعالى إليه.

الثاني: أن العبد مأمور ومنهي ولم يكلفه الله إلا ما يستطيع فليس مجبوراً على العمل بل متعبداً بامتثال المأمور فعلاً، وامتثال المنهي تركاً، واجتناباً ولم يكلف إلا ما يستطيع.

الثالث: إن القدر مغيب عن المكلفين فلا يُدرى به حتى يقع، فالعاصي لا يدري ما قدر له قبل المعصية وهو باستطاعته الفعل أو الترك، فكيف يسلك طريق المعصية مختاراً ويحتج بالقدر وهو يجهله.

الرابع: أن الله تعالى أرسل الرسل لقطع الحجة ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء :١٦٥] ولو كان القدر حجة للعاصي لم تنقطع الحجة بإرسال الرسل.

قال الله تعالى : ﴿ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ ﴾ [النساء :١٦٥] ، ونعلم أن الله سبحانه ما أمر ونهى إلا المستطيع للفعل والترك، وأنه لم يجبر أحداً على معصية، ولا اضطره إلى ترك طاعة، قال الله تعالى : ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ ﴾ [البقرة :٢٨٦]، وقال تعالى : ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن :١٦]، وقال تعالى : ﴿ ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَۚ ﴾ [غافر :١٧].

فدلّ على أن للعبد فعلاً وكسباً يجزى على حسنه بالثواب، وعلى سيئه بالعقاب، وهو واقع بقضاء الله وقدره[١] .

* * *

(١) من ثمرات الإيمان بالقدر:

١- الإيمان بالقدر يوجب الاستعانة التامة بالله تعالى لإيمان العبد أنه ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وأن له سبحانه بعباده ألطافاً وتيسيراً لا يناله أحد إلا بقدر إيمانه وتوكله.

٢- الجد والاجتهاد في فعل الأسباب النافعة لتحصيل المنافع ودفع المضار.

٣- سكون القلب وطمأنينته وقوته وشجاعته لعلم العبد أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه.

٤-الصبر عند المصائب والتسليم لله لما يرجوه من كريم الثواب وعظيم الجزاء.

٥- القناعة بما رزقه الله تعالى وعدم الاعتراض على الله تعالى في قسمته لإيمان العبد بتدبير الله تعالى وفضله وحكمته.

فصل

والإيمان قول باللسان ، وعمل بالأركان ، وعقد بالجنان[1]، يزيد بالطاعة

---

(١) **الإيمان لغة:** التصديق ، قال تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام أنهم قالوا لأبيهم عليه السلام : ﴿ وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَٰدِقِينَ ﴾ [يوسف:١٧] أي : بمصدق .
الإيمان اصطلاحا: هو التصديق والاعتقاد الجازم بوجود الله تعالى وفعله، ومعرفته تعالى بأسمائه وصفاته وآثاره من آياته ومخلوقاته وسائر الأدلة الدالة عليه، والثناء عليه بما ثبت له من الأسماء الحسنى وصفات الكمال ونعوت العظمة والجلال، وتنزيهه عن الشريك والشهادة له بأنه وحده هو الإله الحق المعبود وبالحق فهو المستحق للإلهية وحده لا شريك له و الذي يجب إخلاص العبادة له والكفر والبراءة من كل معبود سواه، فهو قول باللسان واعتقاد بالجنان ـ القلب ـ وعمل بالقلب والأركان يزيد بالطاعة وينقص بالعصيان .
فالإيمان بالله تعالى يشمل أربعة أشياء :
الأول : التصديق الجازم بوجوده فإنه هو الموجود واجب الوجود لذاته .
الثاني : الإيمان بتفرده سبحانه بأفعاله وتدبيره وملكه فإنه تعالى هو خالق العالم علويّه وسفليّه وما فيه وما بينه، وهو مالكه ومدبره والمتصرف فيه بمقتضى علمه وحكمته، فهو موجد الأشياء ومعدّها وممدّها بما تحتاج إليه، ويسمى ذلك توحيد الربوبية أو توحيد الله بأفعاله ، وإثبات ما جاءت به النصوص من أسماء الله تعالى وصفاته وإثبات معانيها وأحكامها والثناء عليه تعالى ودعاؤه بها وتنزيهه عن نقصها وأضدادها .
الثالث : الإيمان بأن الله وحده هو الإله الحق المعبود بالحق الذي لا تنبغي العبادة إلا له ولا تصلح لأحد سواه، ويسمى هذا توحيد الإلهية والعبادة أو توحيد القصد والطلب أي إن الله هو المقصود المطلوب.
الرابع : ابتغاء وجهه سبحانه بكل ما شرع، بأن يبتغي العبد وجهه بجميع الطاعات، فيفعل ما أمر به قدر استطاعته مخلصاً لله تعالى، ويترك ما نهي عنه ابتغاء

وينقص بالعصيان[1] ، قال الله تعالى : ﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ ﴾ [البينة :٥] ، فجعل عبادة الله تعالى، وإخلاص القلب وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، كله من الدين.

وقال الرسول ﷺ : « **الإيمان بضع وسبعون شعبة، أعلاها شهادة أن لا إله إلا الله، وأدناها إماطة الأذى عن الطريق** »، فجعل القول والعمل من الإيمان.

وجه الله، ويذكر الله تعالى ويثني عليه، ويدعوه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وسائر ما شرع الله التوسل به في جميع الأحوال، ويسمى هذا توحيد العبادة ، أو إفراد الله تعالى بأفعال عباده.

(١) دلَّ الكتاب والسنة وإجماع سلف الأمة على أن الدين والإيمان قول وعمل، قول القلب واللسان، وعمل القلب والجوارح، حيث سمى الله ورسوله كثيراً من الأقوال والأعمال إيماناً، قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ﴾ [البقرة : ١٤٣] يعني : صلاتكم إلى بيت المقدس قبل تحويل القبلة إلى الكعبة، وثبت في الصحيحين قوله ﷺ لوفد عبدالقيس : « **أتدرون ما الإيمان بالله وحده** » ، قالوا : الله ورسوله أعلم قال : « **الإيمان بالله وحده : شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة ، وصوم رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس** » فسمى ﷺ الشهادتين وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والصوم وأداء الخمس إيماناً؛ لأن هذه الأمور مترتبة على التصدق وناشئة عنه ودالة عليه .

فالإيمان المطلق يدخل فيه جميع الدين ظاهره وباطنه ، أركانه وخصاله واعتقادات القلوب التي يعترف بها القلب ويعتقدها، وأعماله التي يحبها ويرضاها وهي محبة الخير وإرادته الجازمة، وكراهة الشر والعزم على تركه، فهذه الأعمال القلبية تنشأ عنها أعمال الجوارح فعلاً وتركاً من أداء حقوق الله تعالى وحقوق خلقه المتنوعة إذا كانت على وفق شرعه، وعلى هدي نبيه ﷺ وابتغى بها وجهه.

وقال تعالى : ﴿ فَزَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا ﴾ [التوبة :١٢٤]، وقال تعالى : ﴿ لِيَزْدَادُوٓاْ إِيمَٰنًا ﴾ [الفتح :٤][1] .

وقال رسول الله ﷺ : **« يخرج من النار من قال : لا إله إلى الله وفي قلبه مثقال برة ، أو خردلة ، أو ذرة من الإيمان »** ، فجعله متفاضلاً .

فصل

ويجب الإيمان بكل ما أخبر به النبي ﷺ ، وصح به النقل عنه فيما شاهدناه ، أو غاب عنا ، نعلم أنه حق وصدق ، وسواء في ذلك ما عقلناه وجهلناه، ولم نطلع على حقيقة معناه[2]، مثل حديث

---

(١) **من أسباب زيادة الإيمان:**

١- معرفة أسماء الله تعالى وصفاته بإحصائها وفهم معانيها ومعرفة مقتضياتها وآثارها والدعاء والثناء على الله تعالى بها.

١- النظر في آيات الله الكونية فإن ما فيها من مظاهر القوة والقدرة والعلم والحكمة والإتقان والإبداع يزيد الإيمان .

٢- معرفة آيات الله الشرعية بقراءة القرآن وتدبره ومعرفة أحكامه وحكمه ووعده ووعيده، وقصصه وأمثاله وما جاء له من بيان من أقوال النبي ﷺ وأفعاله وتقريراته .

٣- فعل الطاعات على أحسن وجه فإن الطاعة تدعو إلى مثلها وتزداد بها الدرجة والرفعة عند الله تعالى.

٥- ترك المعاصي خوفاً من الله تعالى وإجلاله وبنقص هذه الأمور ينقص الإيمان.

(١) **النبي شرعاً** : هو من نبأه الله بخبر وأوحَى إليه بشرع ، والرسول من بعثه الله تعالى بخبره وشرعه؛ ليبلغه غيره، والنبي محمد ﷺ قد نبأه الله تعالى وأرسله وختم به أنبياءه ورسله، فمن مقتضى الشهادة له ﷺ بالنبوة والرسالة، أن يصدق فيما أخبر، وأن يطاع فيما أمر، وأن يجتنب ما نهى عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما

الإسـراء[1] والمعـراج ، وكـان يقظـة لا مناماً ، فإن قريشاً أنكرته وأكبرته، ولم تـنكر المنامات. ومـن ذلـك أن مَلَـك المـوت لما جاء إلى موسى عليه السلام ليقبض روحه لطمه ففقأ عينه، فرجع إلى ربه فرد عليه عينه.

شـرع، فإنه ﷺ لا يقول إلا الحق، وهو أعلم الخلق بالحق، وأنصح الخلق للخلق، قـال تعـالى : ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ [النجم :٣-٤] ، وقـال تعالى : ﴿ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ۝ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ۝ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ۝ ﴾ [الحاقة :٤٤-٤٦] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر :٧]، وقـال تعالى : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [آل عمران :٣١] ، فمـا صـح بـه النقل عن النبي ﷺ ، فهو حق يجب قبوله وتصديقه والتسليم له والعمل بمقتضاه، ومن ذلك:

* مـا أخـبر به عن الله تعالى من أسمائه وأوصافه وأفعاله، وآلائه وتدبيره لملكوته وشرعه وجزائه.
* مـا أخـبر بـه عـن بدء الخلق وإخباره عن النبيين والمرسلين المتقدمين من الأمم الماضية والحوادث السابقة.
* مـا أخبر به عن أحوال العالم العلوي من أخبار الملائكة والعرش والجنة وغيرها من المخلوقات.
* مـا أخـبر بـه مـن الحوادث المستقبلة والأشخاص ذوي الشأن وأشراط الساعة وأحـوال القبور والبرزخ وأمور الآخرة وأهوال القيامة وعرصاتها وأحوال الناس فيها حتى ينتهي كل فريق إلى مستقره.

(١) **الإسـراء لغـة:** هـو السـير ليلاً ، وشرعاً : هو الإسراء بالنبي ﷺ من مكة إلى بيت المقدس ليلاً على البراق صحبةَ جبرائيل ـ عليه السلام ـ .

المعـراج: مفعـال ـ أي الآلـة التي يصعد عليها بمنزلة السلم ـ وهي التي صعد عليها الـنبي ﷺ مـن بيـت المقـدس إلى السـماء ولا يعلم كيفيتها إلا الله سبحانه وتعالى،

....

وكان بعد البعثة وقبل الهجرة، فالإيمان به من الإيمان بالغيب الذي يؤمن به أهل الحق كما جاءت به النصوص دون اشتغال بكيفيته، فالإيمان به واجب وإنكاره كفر مخرج من الملة، لأنه رد للقرآن وتكذيب للرسول ﷺ واتباع لغير سبيل المؤمنين.

* **فائدة:** من تحقيق شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، الإيمان بأنه أسري بالنبي ﷺ - بروحه وجسده يقظة لا مناماً - من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى، ثم عرج به إلى السموات العلى، ورأى هناك ما رأى، وكلمه الله تعالى، وفرض عليه الصلوات الخمس، ثم هبط من السماء وعاد إلى المسجد الحرام من ليلته، لاستفاضة النصوص من الكتاب والسنة بذلك، وإجماع الصحابة على ما دلت عليه، قال تعالى: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴾ [الإسراء :١]، واستفاضت الأحاديث الصحيحة في الصحيحين وغيرهما من دواوين الإسلام وأجمع عليه السلف الصالح ، لذا كان من اعتقاد أهل السنة والجماعة الإيمان بذلك لأمور:

الأول : أنه جاء التصريح به في القرآن .

الثاني : ورود السنة الصحيحة بالإسراء والمعراج .

الثالث : أن ذلك من الإيمان بالغيب ومن تحقيق الشهادتين.

الرابع : إجماع السلف على ذلك .

الخامس : أن ذلك من الإيمان بكمال قدرة الله تعالى ونفاذ مشيئته فإنه على كل شيء قدير، وما شاء الله كان إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون.

ومـــــن ذلــــك أشـــــراط الســـــاعة(١)،

(١) في عقيدة أهل السنة في الإمام المهدي المنتظر :

* وردت في الإمام المهدي من آل بيت النبي ﷺ، أحاديث كثيرة وشهيرة منها أحاديث في الصحيحين غير صريحة، وأخرى صريحة في السنن والمعاجم والمسانيد وغيرها من دواوين الإسلام، بلغت خمسين حديثاً، لذا صرح غير واحد من أهل العلم ـ كالبرزنجي، والسفاريني، والصديق حسن خان القنوجي، أنها بلغت حد التواتر المعنوي وشاع بين أئمة أهل السنة ذلك حتى عُد من معتقداتهم، وقد تضمنت هذه الأحاديث ذكر اسمه واسم أبيه وكنيته وصفته ، وأنه يظهر ـ بعد زمن فتنة وجور ـ حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً ، وهو غير الذي تزعمه الرافضة ـ في إمامهم الغائب الموهوم الذي ينسجون بشأنه الخرافات ويختلقون عليه الأكاذيب والأساطير ، ويعلقون أمورهم وقيام دينهم عليه، وتارة يعطونه خصائص الإلهية من العلم والقدرة وغيرها، وتارة يظهرونه بمظهر الضعف والعجز والذلّ .

فقد ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : **« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »** ، وجاء في صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قال : **« لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم فيقول: تعال صل لنا، فيقول لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله هذه الأمة »** ، وعند الإمام أحمد قال ﷺ : **«فإذا هم بعيسى ابن مريم فتقام الصلاة، فيقال له تقدم يا روح الله، فيقول ليتقدم إمامكم فليصل بكم »** ، وفي الصحيح عنه ﷺ قال : **« كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم »** ، قال ابن كثير ـ رحمه الله ـ : هو محمد بن عبد الله العلوي الفاطمي الحسني رضي الله عنه .

قلت: فالمهدي : رجلٌ صالح وخليفة مهدي من ذرية النبي ﷺ ، من نسل الحسن

مـــــــثل خـــــــروج الدجـــــــال[١]،

ابـن علـي بـن أبـي طالـب، وابـن فاطمـة بنـت رسول الله ﷺ ، ففي سنن أبي داود والحـاكم وصـححه الألـباني وروى أبـو نعيم ـ في أخبار المهدي ـ عن أبي سعيد رضي الله عنه قـال: قال رسول الله ﷺ : **«منا الذي يصلي عيسى بن مريم وراءه»**. وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي ..الخ].

عـن أبـي سـعيد الخـدري ـ رضي الله عنه ـ قـال: قال رسول الله ﷺ : **« المهدي مني أجلى الجبهة وأقنى الأنـف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يملك سبع سنين »** . وعـن أم سـلمة ـ رضي الله عنها ـ قالت سمعت رسول الله ﷺ يقـول : **« المهـدي مـن عترتـي، مـن ولـد فاطمـة »** .أخـرجه أبو داود وصححه الألـباني. وأفادت الأحاديث أنه يعيش سبع أو ثمان أو تسع سنين، ثم يموت بعد نزول المسيح ابن مريم عليه السلام بيسير .

فالإيمـان بخروج المهـدي واجـب ـ لهذه النصوص كما هو مقرر عند أهل العلم ـ ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة.

(١) مـن الإيمـان بالـنبي ﷺ الإيمـان بمـا أخـبر بـه مـن أمـر المسيح الدجـال ـ مسيح الضـلالة ـ وهو شخص يهودي قبيح الصورة شيطاني النشأة قال عنه النبي ﷺ : **« غلام أعور أضر شيء وأقله منفعة »** . رواه أحمد والترمذي.

* وجملـة صفته في الأحاديث الصحيحة عن النبي ﷺ أنه : **« رجل قصير أفحج جعد أعـور، ممسـوح العـين اليسـرى أعـور العين اليمنى كأنها عنبة طافية، مكتوب بين عينيه كافر ـ ك، ف، ر ـ يقرؤه كل مؤمن قارئ وغير قارئ »** .

* ويفهـم مـن النصوص الواردة بشأنه أن خروجه هو أول العلامات الأرضية الكبار وأنه بعد فتح القسطنطينية، وقبل نزول المسيح بن مريم ـ عليه السلام ـ من السماء

....

أي في آخر خلافة المهدي قال ﷺ : « **وفتح القسطنطينية خروج الدجال** » رواه أحمد.

* وسُمي الدجال مسيحاً إما لأنه ممسوح الحاجب الأيمن والعين اليمنى طافية، أو لأنه يسيح في الأرض، وسُمي الدجال لكثرة وعظم دجله الذي يغطي به الحق وهو آخر الدجاجلةوأعظمهم .

* عظم فتنته: قال ﷺ : «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة أمر أكبر من فتنة الدجال**»، وفي المسند وصحيح مسلم قال ﷺ : « **ليفرن الناس من الدجال في الجبال** » .

* ومن فتنته أنه يقول : « أنا ربكم »، قال النبي ﷺ : « **ولا ترون ربكم حتى تموتوا** » .

* ومن فتنته أن معه جنة وناراً، فناره جنة، وجنته نار، فمن ابتلي بفتنته فليستعذ بالله وليقرأ فواتيح الكهف.

* ومن فتنته أن يقول للأعرابي : « **أرأيت إن بعثتُ لك أباك وأمك أتشهد أني ربك، فيقول : نعم، فيتمثل له شيطانان في صورة أبيه وأمه، فيقولان يا بني اتبعه فإنه ربك** » .

* وإن من فتنته أن يسلط على نفس واحدة فيقتلها بنشرها بالمنشار حتى تلقى شقتين ثم يقول : انظروا إلى عبدي فإني أبعثه ، ثم يزعم أن له رباً غيري - فيبعثه الله - ويقول له الدجال الخبيث من ربك، فيقول ربي الله، وأنت عدو الله فأنت الدجال والله ما كنت قط أشد بصيرة بك من اليوم.

* وإن من فتنته أن يأمر السماء أن تمطر، فتمطر ويأمر الأرض أن تنبت فتنبت.

ونزول عيسى بن مريم عليه السلام[١] فيقتله ، وخروج يأجوج ومأجوج ،

---

* وأما نهاية الدجال : فإن المسيح عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ بعد نزوله من السماء يدرك الناس يصلون الصبح وراء إمامهم رجل صالح ـ هو المهدي ـ فيصلي معهم مؤتماً بذلك الإمام، فإذا انصرف قال عيسى ـ عليه السلام ـ افتحوا الباب فيفتحونه ووراءه الدجال معه سبعون ألف يهودي كلهم ذو سيف محلى وساج فإذا نظر إليه الدجال ذاب كما يذوب الملح في الماء وينطلق هارباً فيدركه عيسى ـ عليه السلام ـ عند باب لدٍ الشرقي فيطعنه بحربته فيقتله ويهزم الله اليهود ..الخ .

(١) عقيدة أهل السنة والجماعة أن عيسى ـ عليه السلام ـ رُفع إلى السماء ، وأنه لم يُقتل لقوله تعالى : ﴿ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَـٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ ﴾ [النساء :١٥٧-١٥٨]، ولقول النبي ﷺ : « **والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً مقسطاً فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام** » .

ونزول عيسى ـ عليه السلام ـ في آخر خلافة المهدي وآخر مدة الدجال، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين واضعاً كفيه على أجنحة ملكين، فيدرك صلاة الفجر مع المهدي وبعد الصلاة أول عمل يقوم به ـ عليه السلام ـ قتل الدجال يطعنه بحربته فيقتله.

* جاء في صحيح مسلم ـ رحمه الله ـ أن النبي ﷺ قال : « **لا تزال طائفة على الحق من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة، فينزل عيسى بن مريم ـ عليه السلام ـ فيقول: تعال صل بنا، فيقول : لا إن بعضكم على بعض أمراء تكرمة الله لهذه الأمة** » .

وخروج الدابة، وطلوع الشمس من مغربها، وأشباه ذلك مما صح به النقل[1].

وعذاب القبر ونعيمه حق[2]، وقد استعاذ النبي ﷺ منه، وأمر به في

---

* وعند الإمام أحمد قال ﷺ: «فإذا بعيسى بن مريم، فتقام الصلاة فيقال له تقدم يا روح الله، فيقول ليتقدم إمامكم فيصل بكم». وفي الصحيحين عنه ﷺ قال: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامكم منكم».

(١) مما يدخل في الإيمان بأحوال البرزخ اليوم والآخر: الإيمان بلقاء الله تعالى قال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ ﴾ [البقرة :٢٢٣]، وقال تعالى: ﴿ مَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [العنكبوت :٥]، وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الْإِنسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَاقِيهِ ﴾ [الانشقاق :٦]، وقال تعالى: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً قَالُوا يَا حَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا ﴾ [الأنعام :٣١]، وقال جل ذكره: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ ۝ أُولَٰئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ [يونس :٧-٨].

وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: قال رسول الله ﷺ: «من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله، كره الله لقاءه» فقلت: يا رسول الله، أكراهية الموت، فكلنا نكره الموت، قال: «ليس كذلك، ولكن المؤمن إذا بُشر برحمة الله ورضوانه وجنته أحبَّ لقاء الله فأحب الله لقاءه، وإن الكافر إذا بُشر بعذاب الله وسخطه كره لقاء الله، وكره الله لقاءه». وفي حديث القراء أصحاب بئر معونة ـ «بلغوا قومنا أنا قد لقينا ربنا فرضي عنا ورضينا عنه».

(٢) يعتقد أهل السنة: أن نعيم القبر وعذابه ثابتان لمستحقهما من أهل القبور، لقوله تعالى في المؤمنين: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ

كل صلاة ، وفتنه القبر حق[1]، وسؤال منكر ونكير حق، والبعث بعد

أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴾ [فصلت :٣٠]، وقوله تعالى في حق الكافرين عن آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر :٤٦] ، ولقوله ﷺ في المؤمن : «**إذا سُئل في قبره فأجاب، فينادي مناد من السماء أن صدق عبدي فافرشوا له من الجنة وافتحوا له باباً إلى الجنة**» ، وقوله ﷺ في الكافر حين يُسأل في قبره : «**فيجيب فينادي منادٍ من السماء أن كذب عبدي فافرشوه من النار، وافتحوا له باباً إلى النار**» .

وهذه أمور ثابتة بالآيات الصريحة والأحاديث الصحيحة يجب الإيمان والتسليم بها سواء أدركتها العقول أو لم تدركها لأن الشرع لا يعارض العقل.

وفي الصحيح عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ قالت: سألت رسول الله ﷺ عن عذاب القبر قال: « **نعم عذاب القبر حق** » . وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ـ رضي الله عنه ـ قال : كان رسول الله ﷺ يدعو « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر** » ، وفي صحيح مسلم عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أن النبي ﷺ كان يعلمهم هذا الدعاء ، كما يعلمهم السورة من القرآن « **اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من عذاب جهنم، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال** » ومن ذلك ضغطة القبر كما في المسند وغيره عن عائشة ـ رضي الله عنها ـ عن النبي ﷺ قال : « **إن للقبر ضغطة لو كان أحد ناجياً منها لنجا سعد بن معاذ** » .

(١) **فتنة القبر :**

* هي سؤال الملكين ـ منكر ونكير ـ للميت في قبره، عن ربه ودينه ونبيه، كما في حديث الكسوف وفيه قال ﷺ : « **إنكم تفتنون في القبور مثلاً أو قريباً من فتنة المسيح الدجال، فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فيقول المؤمن ربي الله**

الموت حق[1]، وذلك حين ينْفُخ إسرافيل ـ عليه السلام ـ في الصُّور،

وديني الإسلام، ونبيي محمد ﷺ ، وأما المرتاب أو الكافر فيضله الله فيقول: هاه ، هاه، لا أدري، سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته » .

* والفتنة عامة لكل ميت إلا الشهيد، ومن مات مرابطاً في سبيل الله وكذلك الرسل لا يسألون لأنهم المسؤول عنهم، واختلف في غير المكلفين كالمجانين ومن دون البلوغ، فقيل يسألون لعموم الأدلة، وقيل لا يسألون لعدم التكليف.

* وقد كثرت الأحاديث عن النبي ﷺ في فتنة القبر ـ وهو سؤال الملكين ـ منكر ونكير ـ حتى بلغ مجموعها مبلغ التواتر، فوجب الإيمان به شرعاً لثبوته.

وقد استنبط ذلك من قوله تعالى : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ [إبراهيم :٢٧] ، وأخرج الشيخان من حديث البراء ، أن النبي ﷺ قال : « **في هذه الآية نزلت في عذاب القبر** » . رواه مسلم.

فيقال له من ربك، فيقول ربي الله ونبي محمد فذلك قوله : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم :٢٧] ، وفي رواية البخاري : « **إذا أقعد المؤمن في قبره يقول أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمد رسول الله ، فذلك قوله** : ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ ﴾ [إبراهيم :٢٧] .

(١) أول ما يحدث للخلق يوم القيامة البعث .

والبعث لغة: الإثارة والتحريك والإرسال والنشر.

واصطلاحا: إعادة المخلوقات حية بعد موتها ـ وأخصه والمقصود هنا ـ إخراج الناس من قبورهم أحياءً وإرسالهم إلى موقف الحشر لحسابهم، والقضاء بينهم بالحق.

أ- وقد ذكر البعث والنشور في القرآن في ستمائة وستٍ وسبعين آية، وفي أربع آيات من الكتاب أمر الله نبيه ﷺ أن يقسم على وقوعه وتحققه، وذلك في « الذاريات، التغابن، يونس، سبأ » ومن أدلته :

قال تعالى : ﴿ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾ [يس :٥١]، ويحشر[1] الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً بُهْماً،

١- قوله تعالى ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن :٧] الآية .

٢- وقوله سبحانه : ﴿ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ﴾ [ق :٤٤] .

٣- قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ﴾ [القصص :٨٥].

ب- وقد استفاضت الأحاديث الصحيحة بذكر البعث وبيان كيفيته .

ج- وأجمع عليه المسلمون وأهل الكتاب وكل من ينتسب إلى الأديان السماوية.

فاتفقت الرسالات السماوية والكتب الإلهية والمؤمنون بها على أن البعث حق وصدق ، وله حِكَم عظيمة ، فيجب الإيمان ـ أي التصديق الجازم ـ بأن الله تعالى يبعث الناس من قبورهم أحياءً يوم القيامة ـ على الصفة التي جاءت بها النصوص ـ ليجازي المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته أو يعفو عنه.

(١) ومما يعتقده أهل السنة والجماعة من أمور القيامة حشر الناس، وهو لغة الجمع، وشرعاً: جمع الخلائق بعد إحيائهم في موقف الجمع يوم القيامة لحسابهم، وفصل القضاء بينهم، ومن الأدلة على ذلك قوله تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْآخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [الواقعة :٤٩-٥٠] ، وقال تعالى: ﴿ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴾ [التغابن :٧] ، وفي الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال : « **إن الله تعالى يجمع الأولين والآخرين في موقف واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر**»، وأنهم يصيبهم في ذلك الموقف من الأهوال ما لا يطيقون وما لا يحتملون، حتى يراجع بعضهم بعضاً لطلب الشفاعة، ليخلصوا من هول ذلك الموقف وشدته عليهم.

وفي الصحيح عنه ﷺ أنه قال : « **أيها الناس إنكم محشرون حُفاة عُراة غُرلاً ، كما**

فيقفون في موقف القيامة، حتى يشفع فيهم نبينا محمد ﷺ، ويحاسبهم[(١)] الله تبارك و تعالى، وتنصب الموازين[(٢)]،

بدأنا أول خلق نعيده، وأول من يُكسى إبراهيم ـ عليه السلام ـ » ، وقال ﷺ : «**يحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء كقرصة النقي ليس فيها معلم لأحد**» حسنه الحافظ وصححه الحاكم ووافقه الذهبي.

(١) **الحساب لغة**: مصدر حاسب يحاسب حساباً، وحسب الشيء يحسبه إذا عده فهو لغة العد والإحصاء.

وشرعاً: هو توقيف الله جملة العباد ـ قبل الانصراف من المحشر ـ على أعمالهم خيراً كانت أو شراً، إلا من جاء النص باستثنائهم كالسبعين آلف الذين يدخلون الجنة بلا حساب ولا عذاب وهو ثابت بالكتاب والسنة وإجماع أهل الحق، فيجب الإيمان به واعتقاده.

فالحساب هو محاسبة الله الخلائق على أعمالهم فيُعرضون على الله صفاً لينظر في أعمالهم ويوقفهم عليهم ويحكم فيهم بحكمه العدلَ الذي لا جور فيه ولا ظلم، فأما المؤمن فإن الله تعالى يخلو به فيقرره بذنوبه ثم يقول أنا سترتها عليك في الدنيا وأنا أغفرها لك اليوم.

و أما الكافر فإنه يوقف على عمله ويقرر به ثم ينادى على رؤوس الأشهاد ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود :١٨] .

ومن الناس من يدخل الجنة بلا حساب ولا عذاب وهم السبعون الألف الذين جاء في صفتهم « **أنهم لا يسترقون ...** » .

(٢) ومما يكون يوم القيامة الوزن بالموازين والموازين جمع ميزان ـ وهو ميزان حقيقي له كفتان ـ الله أعلم بحقيقته ـ توزن فيها أعمال العباد قال تعالى : ﴿ وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ ﴿٩﴾﴾ [الأعراف : ٨-٩] .

وتُنشر الدواوين[١]، وتتطاير صحائف الأعمال إلى الأيمان والشمائل

وقد ذكر الميزان مجموعاً في الكتاب والسنة، وذكر مفرداً ، فجمعه ـ والله أعلم ـ باعتبار ما يوزن به من الأعمال، أو بحسب الأفراد أو بحسب الأمم، وأما إفراده فاعتبار الجنس.

والصواب : أن الذي يُوزن الجميع : العمل ، والعامل والصحف.

فإن السنة الصحيحة التي بينت القرآن قد وردت بذلك كله، ولا منافاة بينها ، ويدل على ذلك ما رواه الإمام أحمد في مسنده بسنده إلى عبدالله بن عمرو بن العاص ـ في قصة صاحب البطاقة ـ قال :قال رسول الله ﷺ : **«توضع الموازين في كفة، ويوضع ما أحصى عليه فيميل به الميزان، قال: فيبعث به إلى النار، قال: فإذا أدبر، فإذا صائح من عند الرحمن عز وجل يقول: « لا تعجلوا، فإنه قد بقي له، فيؤتى ببطاقة فيها لا إله إلا الله، فتوضع مع العمل في كفة حتى يميل به الميزان »** .

فدل هذا الحديث على أن العبد يُوضع هو وحسناته وصحيفتها في كفة وسيئاته مع صحيفتها في الكفة الأخرى، وهذا غاية الجمع بين ما تفرق ذكره في سائر أحاديث الوزن ولله الحمد والمنة.

فالجمع بين النصوص الواردة في وزن الأعمال والعاملين والصحائف لا منافاة بينها ، فالجميع يوزن، ولكن الاعتبار في الثقل والخفة يكون بحسب الإخلاص لله تعالى فيه وموافقة الشرع في الأصل والكيفية .

(١) **ومما يكون في عرصات القيامة:** نشر الدواوين : وهي صحف الأعمال التي كتبتها الملائكة متضمنة أعمال المكلفين حسنها وسيئها، ونشرها فتحها، فتحضر أعمال العباد التي كتبتها الملائكة حين وقعت منهم وباشروها بمحض إرادتهم واختيارهم فتُوزن والعمال ينظرون فتميز أعمالهم وينظر فيها بالعدل ما للعبد وما عليه وتظهر مثاقيل الذر من الخير والشر ، وهنا يشتد الكرب ويعظم الخطب، قال تعالى : ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ

﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق : ٧-١٢] .

والميزان له كفتان ولسان، توزن به الأعمال ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون :١٠٢-١٠٣] .

ولنبينا محمد ﷺ حوض في القيامة(١)، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأباريقه عدد نجوم السماء، من شرب منه شَربة لم يظمأ بعدها أبداً

كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء :١٣-١٤] ، فآخذ كتابه بيمينه وهو المؤمن قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق :٧-٩] ، وقال تعالى : ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقة :١٩] ، وآخذ كتابه بشماله أو من وراء ظهره، وهو الكافر والمرتاب، قال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة :٢٥-٢٦]، وقال تعالى : ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُواْ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق :١٠-١٢]، فيكون الجزاء على أعمال المكلفين الواقعة منهم بمحض إرادتهم واختيارهم والتي لم تكتب عليهم إلا بعد أن وقعت منهم عن علم وإرادة وقصد وسعي فيثابون على خيرها ويستحقون العقاب على سيئها فيكون الجزاء على العمل المكتسب لا على القدر الذي سبق به علم الرب تبارك وتعالى قال تعالى : ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ﴾ [غافر :١٧] ، وقال تعالى : ﴿هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النمل :٩٠].

(١) مما يجب اعتقاده من أمور القيامة وجود حوض النبي ﷺ في عرصات القيامة لما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: « ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة ، ومنبري على حوضي .. » الحديث. وقال ﷺ

عـن الحوض : « لهو أشد بياضاً من الثلج، وأحلى من العسل باللبن، ولآنيته أكثر مـن عـدد الـنجوم .. » الخ . وفي البخاري عن عبد الله بن عمرو قال النبي ﷺ : «حوضـي مسـيرة شـهر مـاؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه كـنجوم السـماء، مـن شـرب منه فـلا يظمـأ بعـده أبـداً » . ورواه مسلم بلفظ : «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الوَرِق ـ أي الفضة ـ وريحه أطيـب من المسك، وكيزانه كنجوم السماء، فمن شرب منه فَلا يظمأ بعده أبدا » . وفي رواية مسلم : « يشخب فيه ميزابان من الجنة » .

روى الترمـذي في جامعـه عـن سمرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : «وإن لكل نـبي حوضـاً وإنهـم يتباهون أيهـم أكثر وارداً، وإني لأرجو الله سبحانه أن أكون أكثرهم وارداً » .

* فـلما كان حوض النبي ﷺ قد تواترت الأحاديث الصحيحة التي يحصل بها العلم القطعـي بثبوته، متضمنة صفته ومادته وصفة من يرده وسبب الطرد والذود عنه؛ أجمـع عـلى إثباته السلف ، ولم ينكره إلا طائفة من المبتدعة وليس معهم حجة بل الحجـة عليهم ـ وجاءت جملة الأحاديث بذكر الحوض قبل الصراط ومنها ما رواه الـبخاري في صـحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ قال: « بينا أنا قائم عـلى الحـوض إذا زمـرة حـتى عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال لهم هلم فقلت : إلى أين ؟ فقال : إلى النار ـ والله ـ فقلت : ما شأنهم ؟ قال : إنهم ارتدوا على أدبارهم فلا أراهم يخلص منهم إلا مثل همل النعم » .

وفي بعضـها أنـه بعـد الصـراط كما روى ابن جرير بسنده عن لقيط بن عامر عن الـنبي ﷺ قـال: « ثـم ينصـرف نبـيكم وينصرف على آثاره الصالحون فيسلكون جسـراً مـن الـنار فـيطأ أحدكم جمرة فيقول: حس، يقول ربك عز وجل أو أنه إلا

والصراط حق[١]، يجوزه الأبرار، ويزّل عنه الفجّار .

فتطلعون على حوض نبيكم على أظمأ ـ والله ـ ناهلة عليها قط ما رأيتها فلعمر إلهك ما يسط أحد منكم يده إلا وضع عليها قدح يطهره من الطرف والبول والأذى»، ولا منافاة بين الأحاديث ولا تعارض ولا تناقض فإن أحاديث النبي ﷺ يصدق بعضها بعضاً.

ووجه الجمع أن الحوض في عرصاة القيامة قبل الصراط ولكنهم إذا جاوزوا الصراط وقطعوه بدا لهم الحوض من تلك الجهة فشربوا منه فإن الحوض طوله شهر وعرضه شهر، فإذا كان بهذا الطول والسعة فما الذي يحيل امتداده إلى ما وراء الجسر، فيرده المؤمنون قبل الصراط ليذهب عنهم عطش عرصات القيامة ويردونه مرة أخرى بعد مجاوزة الجسر ليذهب عنهم عطش الورود على الجسر، فهذا في حيز الإمكان ووقوعه موقوف على خبر الصادق المصدوق ﷺ .

(١) الصراط هو جسر يمد فوق النار يجوزه المؤمنون والمنافقون والإسراع والبطء، والانقطاع بحسب إيمانهم وأعمالهم فناج مخدوش، وناج مسلم ومكردس في نار جهنم، فالكل يردون النار ، ثم ينجي الله المتقين ويذر الظالمين فيها جثياً ؛ لما ثبت في الصحيحين من حديث أبي سعيد وفيه : فقلنا : يا رسول الله وما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة ، عليه خطاطيف وكلاليب، وحسكة مفلطحة، يمر المؤمنون عليه كالطرف، وكالبرق، وكالريح، وكأجاويد الخيل والركاب، فناج مسلم، وناج مخدوش، ومكردس في نار جهنم، حتى يمر آخرهم يسحب سحباً** » .

وفي صحيح مسلم عن أنس عن ابن مسعود ـ رضي الله عنهما ـ أن رسول الله ﷺ قال : « **آخر من يدخل الجنة رجل فهو يمشي مرة ويكبوا مرة وتسفعه النار مرة، فإذا ما جاوزها التفت إليها وقال تبارك الذي نجاني منك، لقد أعطاني الله شيئاً ما أعطاه أحدا من الأولين والآخرين** » .

ويشفع نبينا ﷺ[١] فيمن دخل النار من أمته من أهل الكبائر، فيخرجون بشفاعته بعدما احترقوا وصاروا فحماً وحمماً فيدخلون الجنة بشفاعته ،

وفي الصحيحين من حديث أبي هريرة الطويل في الرؤيا والشفاعة وفيه قال ﷺ : **« ويضرب الصراط بين ظهري جهنم، فأكون أنا وأمتي أول من يجيزها، ولا يتكلم يومئذ إلا الرسل، ودعوى الرسل يومئذ : اللهم سلِّم سلِّم، وفيه كلاليب مثل شوك السعدان، غير أنه لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله عز وجل، تخطف الناس بأعمالهم، فمنهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل أو المجازى أو نحوه »** .

(١) **الشفاعة يوم القيامة:** هي السؤال في فصل القضاء والنجاة من العذاب ، أو تخفيفه وزيادة الثواب ، وهي لا تكون إلا بعد إذن الله عز وجل والرضا عن المشفوع له ، فلا يشفع عنده أحدٌ إلا بإذنه، وهي نوعان:

النوع الأول: خاص بالنبي ﷺ وهي ثلاثة أقسام :

أحدها : الشفاعة العظمى حيث يشفع ﷺ في أهل الموقف ليقضى بينهم ـ بعد أن تخلى عنها من قبله من أولي العزم من الرسل ـ فإذا انتهت إليه شفع بعد إذن الله له فيشفّعه الله فيأتي سبحانه على ما يليق بجلاله للقضاء بين العباد وهذا من المقام المحمود الذي وعده الله تعالى إياه بقوله : ﴿ عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا ﴾ [الإسراء :٧٩] .

الثانية : شفاعته ﷺ لأهل الجنة أن يدخلوها فيشفع في فتح باب الجنة فيَستَفتِح فيُفْتَحُ له فهو أول من يدخلها وأمته تبع له.

الثالثة : الشفاعة في أبي طالب خاصة حيث يجده النبي ﷺ في طبقات الجحيم فيشفع فيه ليخفف عنه العذاب لقاء إحسانه إلى النبي ﷺ ، فيخرج إلى ضحضاح من العذاب لا يجاوز كعبيه يغلي منه دماغه ما يرى أن أحداً أشد منه عذاباً .

ولسائر الأنبياء والمؤمنين والملائكة شفاعات، قال تعالى ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِۦ مُشْفِقُونَ﴾ [الأنبياء :٢٨]، ولا تنفع الكفار شفاعة الشافعين.

والجنة والنار مخلوقتان لا تفنيان[1]، فالجنة مأوى أوليائه، والنار عقاب لأعدائه، وأهل الجنة فيها مخلدون قال تعالى : ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ

النوع الثاني : الشفاعات العامة :

وهي من أهل التوحيد لأهل التوحيد ـ وهذه للنبي ﷺ منها أوفر حظ ونصيب ـ ولعله يشفع في الجملة ، ويشركه فيها غيره من إخوانه من المرسلين والنبيين والعلماء والشهداء، والصالحين من الأبناء والآباء والأزواج وأهل الإحسان كل فيمن يخصه وهي أنواع :

الأولى : الشفاعة فيمن استحق النار أن لا يدخلها.

الثانية : الشفاعة فيمن دخل النار أن يخرج منها وهذه تكون بعد مجاوزة الصراط وهي تتكرر أربع مرات كل مرة يحد الله تعالى لنبينا ﷺ حداً فيخرجهم .

الثالثة : الشفاعة داخل الجنة في رفعة الدرجة بحيث يعطى المشفوع له من الثواب فوق ما يستحقه ويرفع الأدنى إلى الشافع فيه وهي تكون داخل الجنة وبعد دخول أهلها.

الرابعة : الشفاعة فيمن تساوت حسناتهم وسيئاتهم ـ قيل إنهم هم أهل الأعراف ـ فيشفع فيهم لترجيح حسناتهم على سيئاتهم فيدخلون الجنة وهذه تكون بعد الفراغ من الحساب ودخول أهل كل دار ممن سبق في دارهم.

(١) **في الجنة والنار:**

يؤمن أهل السنة والجماعة إيماناً تاماً ويصدقون تصديقاً جازماً بأن الجنة والنار مخلوقتان موجودتان الآن، معدتان لأهلهما، فالجنة رحمة الله تعالى يرحم الله بها

المؤمنين، والنار عذابه يعذب بها الكافرين ومن شاء من عصاة الموحدين، قال تعالى : ﴿ ۞ وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ ﴾ [آل عمران :١٣٣] ، وقال سبحانه: ﴿ وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ﴾ [آل عمران :١٣١] ، وقال تعالى: ﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدۡخِلۡهُ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ﴿١٣﴾ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُۥ يُدۡخِلۡهُ نَارًا خَٰلِدٗا فِيهَا وَلَهُۥ عَذَابٞ مُّهِينٞ ﴿١٤﴾ ﴾ [النساء :١٣-١٤] .

وفي الصحيح حديث احتجاج الجنة والنار وفيه فقال الله تعالى : « **أنتِ الجنة رحمتي أرحم بكِ من أشاء، وأنتِ النار عذابي أعذب بكِ من أشاء، ولكليكما عليَّ ملؤها**»، وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : « **اطلعت في الجنة فرايت أكثر أهلها الفقراء، واطلعت في النار فرأيت أكثر أهلها النساء** » .

وأنهما لا تفنيان ولا تبيدان ولا يخرج منهما أهلهما فالمؤمنون في نعيم متجدد، والكفار في عذاب مستمر، فالكل خالد مخلد، وبما في داره ممهد.

وأخبر سبحانه عن أهل الجنة فقال: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [هود :١٠٨] ، وقال عن أهل النار : ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [هود:١٠٧] .

وفي الصحيح عن النبي ﷺ قال : « **إذا صار أهل الجنة إلى الجنة وأهل النار إلى النار، جيء بالموت في صورة كبش فيجعل بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة انظروا ويا أهل النار انظروا ثم يذبح، ثم ينادي منادٍ : يا أهل الجنة لا موت، ويا أهل النار لا موت، فيزداد أهل الجنة فرحاً إلى فرحهم، ويزداد أهل النار حزناً إلى حزنهم** » ، وفي لفظ : « **كل خالد فيما هو فيه** » .

جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ..﴾ [التوبة : ٧٢] ، وأهل النار فيها مخلدون قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [الزخرف :٧٤-٧٥] .

ويُؤتى بالموت في صورة كبش أملح، فيُذبح بين الجنة والنار، ثم يقال: «يا أهل الجنة خلود ولا موت، ويا أهل النار خلود ولا موت» .

* * *

ودلت أحاديث الشفاعة وهي متواترة على أن عصاة المؤمنين يخرجون من النار بالشفاعة حتى لا يبقى إلا من حبسه القرآن وهم الكفار الذين قال الله عنهم : ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ ﴾ [البقرة :١٦٧]، وقال تعالى: ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾[الحجر : ٤٨] ، وقال : ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ [فاطر :٣٦].

فصل

وحمد رسول الله ﷺ خاتم النبيين[(١)]

(١) من خصائص النبي ﷺ أنه خُتم به النبيّون فلا نبي بعده، وقد دل على ذلك صريح القرآن لقوله تعالى: ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب :٤٠] وصحيح السنة كقوله ﷺ : « **وختم بي النبيّون** » ، وهذا مما تواتر لفظاً ومعنىً وأجمع عليه المسلمون، وهو مما علم بالاضطرار من دين الإسلام، فمن أنكره فهو كافر خارج من الإسلام ـ كالقاديانية ـ وعلى هذا اعتقاد أهل الحق إلى يوم القيامة، ولهذه العقيدة ثمرات مباركة منها :

أ- اعتقاد استقرار التشريع وكمال الدين وهذا من أعظم نعم الله تعالى على الأمة وكان ذلك مما حسد اليهود أهل الإسلام عليه.

ب- وفي ذكر كمال الدين وختم النبوة وتمام النعمة تنبيه جليّ وتقرير ظاهر أنه لا مجال للزيادة فيه أو النقصان منه.

ج- ثقة الأمة ببقاء الدين إلى آخر الدهر وعدم نسخه بشريعة جديدة فلا يتعبد إلا بهذه الشريعة أصولاً وفروعاً وأخلاقاً .

د- القطع بكفر كل من ادعى النبوة بعد النبي ﷺ دون أي نظر أو تأويل، هذا من أعظم ثمرات العقيدة التي كتب الله بها العصمة للأمة من اتباع الدجالين الكذابين فإن ذلك من أعظم مقاصد النبي ﷺ في تقريره ختم النبوة.

تنبيه: ولا يُشكل على ذلك ما وردت الإشارة إليه في القرآن وثبت في السنة الصحيحة الصريحة وأجمع عليه المسلمون من نزول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام ـ في آخر هذه الأمة، حكماً مقسطاً، فإنه عليه السلام لا يأتي بشرع جديد وإنما يحكم بالإسلام خليفة للنبي ﷺ ، في أمته آخر الزمان، وحجةً لله تعالى على

وسيد المرسلين[(١)] ، لا يصح إيمان عبد حتى يؤمن برسالته، ويشهد بنبوته، ولا يقضى بين الناس في القيامة إلا بشفاعته، ولا يدخل الجنة أمة إلا بعد

الذين كفروا بالمسيح عليه السلام من أهل الكتاب، وافتروا على الله وعلى نبيه الكذب، فضلُّوا وأضلُّوا.

هـ- عموم رسالة النبي ﷺ لجميع المكلفين من الجن والإنس، وبقاء الشريعة ديناً للناس إلى آخر الدهر، محفوظة بحفظ الله، فلا تُبدل ولا تُعطل إلى أن يأتي الله بأمره، فإنه لا تزال طائفة من الأمة على الحق ظاهرين حتى يقاتل آخرهم المسيح الدجال.

و- ظهور فضل العلماء والأمراء من هذه الأمة حيث جعلت إليهم سياسة الأمة في الدين والدنيا بخلاف بني إسرائيل فإنهم كانت تسوسهم الأنبياء. ولهذا أمر النبي ﷺ الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول وقال أعطوهم الذي لهم فإن الله سائلهم عما استرعاهم، وأمر الله تعالى أهل الإسلام أن يسألوا أهل الذكر عما أشكل عليهم من دينهم وكلف أهل العلم بالبيان وتهددهم على المخالفة والكتمان، فقال تعالى : ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل :٤٣] ، وقال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلْنَا مِنَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَٱلْهُدَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِى ٱلْكِتَٰبِ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ ﴾ [البقرة : ١٥٩-١٦٠] ، وقال ﷺ : « **إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها** » . رواه أبو داود والحاكم وصححه وأقره الذهبي، فلا يزال بحمد الله أمر الدين والدنيا محفوظاً بالعلماء والأمراء.

(١) حقوق النبي ﷺ على الأمة كثيرة ، منها :

أ- الإيمان المفصَّل بنبوته وخصائصه.

ب- اعتقاد نسخ رسالته لجميع الرسالات السابقة.

ومقتضى هذا الإيمان : تصديقه فيما أخبر ، وطاعته فيما أمر ، واجتناب ما نهى

دخول أمته، صاحب لواء الحمد، والمقام المحمود، والحوض المورود، وهو إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم[(١)]

عنه وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع، قال تعالى : ﴿ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا ﴾ [التغابن :٨] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ [الحشر :٧] ، وقال ﷺ : « **أمرتُ أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله ، ويقيموا الصلاة ، ويؤتوا الزكاة** » ، وفي الحديث الآخر : « **... ويؤمنوا بما جئت به** » .

ج- وجوب الاعتقاد بأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، فلا خير إلا دل الأمة عليه ولا شر إلا ونهاها عنه، فلم يتوفاه الله حتى بلغ الرسالة، وأقام الدين، قال تعالى: ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَـٰمَ دِينًا .. ﴾ الآية [المائدة :٣] ، وقال ﷺ : « **وايم الله، لقد تركتكم على بيضاء ليلها كنهارها سواء ..** » الحديث، وقد شهد له بالبلاغ الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في أكبر مجمع لهم في حجة الوداع قالوا: « نشهد أنك قد بلغت، وأدّيت، ونصحت» . وقال أبو ذر رضي الله عنه : «لقد تركنا محمدٌ ﷺ وما طائر يحرك جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً». والآثار في هذا كثيرة عن السلف.

د- محبة النبي ﷺ وتقديمها على النفس والوالد والولد وسائر الخلق والمحبة وإن كانت واجبة لجميع الأنبياء والرسل إلا أن للنبيِّ محمد ﷺ مزيد اختصاص منها، فإن الله قرن محبة رسوله بمحبته ، وتوعد من كان مالُه وأهلُه أحبَّ إليه من الله ورسوله، ونفى النبي ﷺ كمال الإيمان عمن لم يكن ﷺ أحبّ إليه من سائر الخلق.

(١) **من خصائص النبي ﷺ :**

أ- عموم رسالته ؛ لقوله تعالى :﴿ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [الفرقان :١]، قال ابن عباس : «العالمين : الجن والإنس»، ولقوله ﷺ : «**بعثت للناس كافة**». رواه مسلم.

....

ب- ختم النبوة ﴿ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ [الأحزاب :٤٠]، وقال ﷺ **«وختم بي النبيون»**.

ج- أن الله تعالى أيده بأعظم الآيات وهي ـ المعجزات ـ التي هي القرآن ، قال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ [العنكبوت :٥١]، وقال ﷺ : **« ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما آمن على مثله البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إليَّ فأرجو أن أكون أنا أكثرهم تابعاً يوم القيامة »** .

د- وأن أمته خير الأمم قال تعالى: ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران :١١٠]، وقال ﷺ : **«إنكم توفون سبعين أمة، أنتم خيرها وأكرمها على الله عز وجل »** . رواه أحمد وفي الصحيحين : **« أترضون أن تكونوا شطر أهل الجنة ؟»** .

هـ- أنه سيد ولد آدم يوم القيامة لما في الصحيحين عنه ﷺ قال : **« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وأول من ينشق عنه القبر وأول شافع وأول مشفع »** .

و- أنه صاحب الشفاعة العظمى لأهل الموقف ليقضي بينهم ، فيتدافعها أفضل الرسل ـ وهم أولو العزم منهم ـ حتى تنتهي إليه فيشفع وهي المقام المحمود كما فسر المقام المحمود بذلك عدد من الصحابة والتابعين.

ي- أنه صاحب لواء الحمد وهو لواء حقيقي يختص بحمله يوم القيامة ويكون الناس تبعاً له يوم القيامة وتحت رايته واختص به لأنه حمد الله بمحامد لم يحمده بها غيره، كما في المسند وسنن الترمذي عنه ﷺ قال :**« أنا سيد ولد آدم يوم القيامة وبيدي لواء الحمد ولا فخر وما من نبي يوم القيامة.. »** الخ.

ك- فإنه ﷺ وحده هو الذي يشفع لفتح باب الجنة ـ فيَستَفْتِح فيُفْتَح له فيدخل وأمته تبع له.

أمته خير الأمم، وأصحابه[١] خير أصحاب الأنبياء عليهم السلام، وأفضل أُمّته أبو بكر الصدّيق[٢] ثم عمر الفاروق ، ثم عثمان ذو النورين،

---

(١) **تعريف الصحابة:**

الصحابة جمع صحابي ، والصحابي هو : مَنْ لقيَ النبي ﷺ مؤمناً به ومات على ذلك لحديث : « **يغزو قوم فيقال: هل منكم من رأى النبي ﷺ؟ فيقولون : نعم ، فينصرون ..** » إلخ ، وعبَّر بعض أهل العلم في تعريف الصحابي بأنه من لقي النبي ﷺ ، والصحابة ـ رضي الله عنهم ـ كلهم عدول لثناء الله عليهم وتزكيته لهم وإخباره برضاه عنهم ورضى النبي ﷺ عنهم ووصيته فيهم خيراً .

(٢) **فضائل الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ كثيرة وشهيرة وأعظمها :**

* السبق إلى الإسلام والصحبة والهجرة والإيواء والجهاد والنصرة والفقه في الدين، والإمامة في العمل لحسن تلقيهم عن نبيهم ﷺ وصحة فهمهم لكتاب ربهم تبارك وتعالى، وتبليغهم العلم إلى الأمة.
* والمبادرة إلى التوبة والإحسان إلى الخلق .
* ومن نظر في سيرة الصحابة بعلم وبصيرة وإنصاف وتجرد وسلامة من الهوى تبيَّن له ما مَنَّ الله عليهم من الخصائص والفضائل التي لم تكن لغيرهم عَلِمَ يقيناً أنهم خير قرون الأمة ؛ بل أفضل الخلق وأكرمهم على الله بعد المرسلين والنبيين ، وأنهم لا كان ولا يكون مثلهم.
* **ولذا كان من أصول أهل السنة والجماعة:**

أ- حب أصحاب النبي ﷺ وسلامة قلوبهم نحوهم كما قال تعالى في الثناء على من يأتي بعدهم أنهم يقولون : ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر :١٠].

ب - الترضي عنهم جميعاً كما رضي الله عنهم ورضي عنهم نبيهم ﷺ .

....

ج- إظهار محاسنهم والشهادة بما ثبت من فضائلهم .

د- طاعة النبي ﷺ في قوله : « لا تسبوا أصحابي .. » بل يوقرونهم ويحترمونهم ويعتقدون أن العمل القليل منهم يفضل العمل الكثير من غيرهم وهذا من أعظم براهين فضلهم على غيرهم.

هـ- القول بتفاضلهم ـ على نحو ما جاءت به النصوص ـ فإن للسابقين منهم الذين أسلموا قبل صلح الحديبية من الفضل ما ليس لغيرهم لأنهم سبقوا إلى الإسلام وقت ضعف المسلمين وكثرة الأعداء ووجود الموانع والمصائب الكثيرة في طريق الإسلام فهم أكمل إيماناً وصبراً ممن جاء بعد الفتح.

و- الشهادة لمن شهد له النبي ﷺ منهم بالجنة فإن هذا من أعظم فضائلهم وخصائصهم ـ ومن جملة براهين رسالته ﷺ ـ فإن جميع من عيّنه النبي ﷺ بالشهادة له بالجنة ولوازمها لم يزالوا مستقيمين على الإيمان حتى وصلوا إلى ما وعدوا به ـ رضي الله عنهم ـ .

ح- يتبرءون من طريقة الروافض الذين يبغضون جمهور الصحابة ويسبونهم.ومن طريقة النواصب الذين يؤذون أهل البيت ومن شايعهم بقول أو عمل .

خ- لا يقولون بعصمة الصحابة من كبائر الإثم وصغائره بل تجوز عليهم الذنوب في الجملة.

ر- السكوت عما شجر بينهم، وإخفاء مساوئ من مسبب إليه شيءٌ من ذلك.

ز- وقد عدَّ السلفُ الصالح الطعنَ في أحدٍ منهم علامةً للزيغ والضلال، قال أبوزرعة : «إذا رأيتَ الرجل ينتقص أحداً من أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه زنديق » ، وقال الإمام أحمد: «إذا رأيت رجلاً يذكر أحداً من أصحاب النبي ﷺ فاتهمه في الإسلام» .

ثم علي المرتضى، رضي الله عنهم أجمعين ؛ لَمَا روى عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: « كنا نقول والنبي ﷺ حي: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان ، فيبلغ ذلك النبي ﷺ فلا ينكره » .

وصحت الرواية عن علي رضي الله عنه ، أنه قال: « خير هذه الأمة بعد نبيها أبوبكر ثم عمر، ولو شئت سميت الثالث » .

وروى أبو الدرداء عن النبي ﷺ أنه قال: **«ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين والمرسلين على أفضل من أبي بكر »** .

وهو أحق خلق الله بالخلافة بعد النبي ﷺ لفضله وسابقته، وتقديم النبي ﷺ له في الصلاة على جميع الصحابة رضي الله عنهم، وأجمع الصحابة على تقديمه ومبايعته، ولم يكن الله ليجمعهم على ضلالة. ثم من بعده عمر رضي الله عنه، لفضله وعهد أبى بكر إليه، ثم عثمان رضي الله عنه لتقديم أهل الشورى له، ثم علي رضي الله عنه لفضله وإجماع أهل عصره عليه.

وهؤلاء الخلفاء الراشدون المهديون الذين قال رسول الله ﷺ فيهم : **«عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، عضوا عليها بالنواجذ»**.

وقال ﷺ : **«الخلافة من بعدي ثلاثون سنة»** فكان آخرها خلافة علي رضي الله عنه .

ونشهد للعشرة المبشرين بالجنة، كما شهد لهم النبي ﷺ فقال: **« أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة، وطلحة في الجنة،**

ط- وليس في بيان خطأ من أخطأ في حكم من الأحكام شيء من إظهار المساوئ، بل ذلك مما يفرضه الواجب ويوجبه النصح للأمة.

والزبير في الجنة، وسعد في الجنة، وسعيد في الجنة، وعبدالرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة » .

وكل من شهد له النبي ﷺ بالجنة ؛شهدنا له بها كقوله: « الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة » .

و قوله لثابت بن قيس: « إنه من أهل الجنة » .

ولا نجزم لأحدٍ من أهل القبلة بجنة ولا نار، إلا من جزم له الرسول ﷺ، لكنا نرجو للمحسن، ونخاف على المسيء .

ولا نكفِّر أحداً من أهل القبلة بذنب، ولا نخرجه عن الإسلام بعمل .

ونرى الحج والجهاد ماضيَين مع كل إمام، براً كان أو فاجرا، وصلاة الجمعة خلفهم جائزة . قال أنس: قال النبي ﷺ : « ثلاث من أصل الإيمان، الكف عمَّن قال لا إله إلا الله، ولا نكفره بذنب[1]، ولا نخرجه من الإسلام

---

(١) الكبيرة هي المعصية التي رُتِّبَ عليها :
حدٌّ في الدنيا أو نفي إيمان أو فلاح أو نفي أن يكون من المسلمين، أو براءة الله ورسوله من فاعلها، أو توعد الله عليها بعقوبة في الآخرة من غضب ، أو سخط ، أو لعن ، أو خلود في النار ، ونحو ذلك من ضروب الوعيد .
فمن ارتكب كبيرة من كبائر الذنوب ولم يتبْ منها ففيه تفصيل :
أ- إن كان مستحلاً لذنبه ـ اعتقاداً ـ فهو كافر بإجماع المسلمين.
ب- إذا لم يكن مستحلاً له بل مقراً بذنبه وأنه مستحق للعقوبة عليه فإنه لا يخرج من الإسلام بذلك ـ خلافاً للخوارج والمعتزلة المكفرين بالكبائر ـ بل هو عند أهل السنة مؤمن بإيمانه فاسق بكبيرته مستحق للعقوبة الشرعية إلا أن يعفو الله تعالى عنه فترجى له الرحمة لما معه من الإيمان، ويخشى عليه العقوبة لما ارتكبه من الفسوق والعصيان، ولو دخل النار فإنه لا يخلد فيها، لأنه لا يخلد فيها إلا الكفار.

بعمل[(١)]، و الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله عز وجل حتى يقاتل آخر أمتي الدجال، لا يبطله جور جائر ولا عدل عادل ، والإيمان بالأقدار » رواه أبوداود .

ومن السنة تولّي أصحاب رسول الله ﷺ ومحبتهم، وذكر محاسنهم والترحم عليهم، والاستغفار لهم، والكفّ عن ذكر مساوئهم، وما شجر بينهم[(٢)]، واعتقاد فضلهم، ومعرفة سابقتهم، قال الله تعالى : ﴿ وَٱلَّذِينَ جَآءُو

---

(١) قوله « لا نخرجه من الإسلام بعمل » هذا فيه تفصيل :

١- فإن كان العمل مكفّراً كالاستهزاء بالمعظم شرعاً فهو يخرج من الإسلام، ولا كرامة.

٢- وإن كان مما دون الشرك ولم يستحله، فهو من أهل الذنوب المستحقين للوعيد وهو تحت مشيئة الله تعالى إن شاء غفر له وإن شاء عذبه قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ ﴾ [النساء :٤٨] ، وإن عذبه الله بالنار فإنه لا يخلد فيها ـ ولو طال مكثه ـ لما معه من أصل الإيمان الذي يمنع الخلود في النار، فيخرج بشفاعة الشافعين أو عفو أرحم الراحمين.

(٢) يُمسك أهلُ السنة والجماعة عما شجر بين الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ من خلاف وما تبعه من أمور ويقولون إن هذه الآثار المروية في مساوئهم أنواع :

أ- منها ما هو كذب.

ب- منها ما هو واقع ولكن زيد فيه ونقص وغُيِّر وجهه.

ج- وما ثبت منه فهم فيه معذورون لاجتهادهم ـ ولكن لا يعرف كثير من الناس اجتهادهم فيه ـ ولكن أهل العلم يعلمون أنهم في ذلك بين أمرين :

الأول : إما مجتهد مصيب له أجران، أجر الاجتهاد وأجر على الإصابة وذلك من فضل الله وتوفيقه فيغبطون ولا يحسدون.

مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ ﴾ [الحشر :١٠][1] . وقال تعالى : ﴿ مُّحَمَّدٞ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ

الثاني : وإما مجتهد مخطئ والمجتهد المخطئ لـه أجر اجتهاده وخطؤه مغفور لأنه لم يتعمده.

د- وما قدر من الذنوب أنهم لم يتوبوا منه، فإن لهم من فضل السبق إلى الإسلام والهجرة والإيواء والنصرة والصحبة وكذلك لهم من الحسنات الماحية، وما ابتلوا به من المصائب المكفرة وغير ذلك من موجبات المغفرة ما ليس لغيرهم.

هـ- وكذلك هم أحق الناس بشفاعة نبيهم ﷺ يوم القيامة.

وغير ذلك من الخصائص والفضائل وما يرجى أن يغمرها ويمحوها الله بها ما ليس لغيرهم .

و- وأيضاً فإنه قد قام الدليل الذي يجب القول بموجبه أن جملتهم من أهل الجنة فيمتنع أن يفعلوا أو يصروا على ما يوجب النار لأمرين:

الأول : ما سمعوه من النصوص في الأمر في القعود في الفتنة.

الثاني : ولما رأوه من الفتنة التي تربو مفسدتها على مصلحتها.

(١) **وصية النبي ﷺ في أهل بيته :**

عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله ﷺ يوماً خطيباً بماء يدعى « **خُمّاً** » ـ بين مكة والمدينة قريباً من الجحفة ـ فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : « **ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يُوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب، وأنا تارك فيكم ثقلين :**

[**أولهما**]: **كتاب الله تعالى فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به** » ،

فحث على كتاب الله عز وجل ورغب فيه. ثم قال :

[وهو الثاني] : « **وأهل بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، ...**» الحديث .

....

وكان ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة بعد انصراف النبي ﷺ من حجة الوداع، في يوم غدير خم وهو ماء قريب في الجحفة.

وأهل بيت النبي ﷺ هم :

أ- قرابة النبي ﷺ : وهم آل علي، وآل جعفر وآل عقيل، وآل العباس، وكلهم من بني هاشم ويلحق بهم بنو المطلب، لقول النبي ﷺ : « **إنهم لما يفارقونا في جاهلية ولا إسلام** » فأهل السنة والجماعة:

١- يرعون لآل بيت النبي ﷺ قرابتهم من النبي ﷺ .

٢- كما يحبونهم لإسلامهم وسبقهم وحسن بلائهم في نصرة دين الله عز وجل .

٣- ويرعون فيهم وصية النبي ﷺ يوم غدير خم، حيث قال ﷺ « **والذي نفسي بيده لا يؤمنون حتى يحبوكم لله ولقرابتي** » ومعناه لا يتم إيمانهم حتى يحبوا أهل بيته لأمرين :

الأول : ولايتهم لله تعالى وطاعتهم له فهي توجب محبتهم وموالاتهم .

الثاني : المكانة من النبي ﷺ وقرب نسبهم منه.

ب- أزواج النبي ﷺ : وهن من تزوجهن بنكاح وقد تزوج النبي ﷺ إحدى عشرة امرأة ومات عن تسع منهم وهن : خديجة بنت خويلد، وسودة بنت زمعة، وعائشة بنت أبي بكر الصديق، وأم سلمة ، وزينب بنت جحش، وجويرية بنت الحارث، وصفية بنت حيي، وحفصة بنت عمر، وزينب بنت خزيمة، وأم حبيبة بنت أبي سفيان، وميمونة بنت الحارث خالة ابن عباس رضي الله عنهن، وكلهن أمهات المؤمنين وأزواج النبي الأمين والرسول الكريم ﷺ ورضي الله عنهن في الدنيا والآخرة.

وأفضلهن على الإطلاق خديجة بنت خويلد، وعائشة بنت الصديق.

عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح :٢٩]. وقال النبي ﷺ : « **لا تسبوا أصحابي، فإن أحدكم لو أنفق مثل أحد ذهبا، ما بلغ مد أحدهم، ولا نصيفه** »[1].

فأهل السنة والجماعة يحبون أمهات المؤمنين ويعظمونهن، ويعتقدون أنهن أمهات المؤمنين في الحرمة لا في المحرمية، ويتولونهن ويترضون عنهن، ويعرفون لهن فضلهن في العلم والعبادة وحسن عشرة النبي ﷺ، وتبليغ العلم للأمة، ومكانتهن من النبي ﷺ ، فيعظمونهن ويحترمونهن ويؤمنون بما جاءت به النصوص من فضلهن وفضائل بعضهن بخصوصها ولا يقولون فيهن إلا خيراً.

* ويفضّلون خديجة وعائشة على بقية أزواج النبي ﷺ لما لهما من خصوصية ، ولما ثبت لهما من فضيلة.

* **فخديجة هي :**

١- أم أولاد النبي ﷺ ، سوى ابنه إبراهيم فإنه من أم ولده مارية القبطية رضي الله عنها .

٢- وأول من آمن به من النساء وعاضده على دعوته.

٣- وكان لها عنده المنزلة الطيبة الكريمة.

* **ولعائشة من :**

١- تصريح النبي ﷺ بحبها.

٢- ولما ثبت عن النبي ﷺ من فضلها.

٣- ولما لها من حفظ العلم والتعليم ونفع الأمة ما ليس لغيرها.

(١) وإنما سلك أهل السنة والجماعة هذا المنهاج العظيم مع صحابة الرسول الكريم محمد عليه من ربه أفضل الصلاة والتسليم وأهل بيته وقرابته، مراعين جملة اعتبارات:

أولاً : ثناء الله تعالى عليهم وتزكيته لهم والإخبار برضاه عنهم ورضاهم عنه وثناؤه على الذين جاءوا من بعدهم متبعين لهم داعين لهم بالرحمة والمغفرة.

ومن السنة : الترضي عن أزواج الرسول ﷺ أمّهات المؤمنين المطهرات المبرآت من كل سوء، أفضلهن خديجة بنت خويلد، وعائشة الصديقة بنت الصديق التي برأها الله في كتابه، زوج النبي ﷺ في الدنيا والآخرة، فمن قذفها بما برّأها منه الله فقد كفر بالله العظيم.

ومعاوية خال المؤمنين، وكاتب وحي الله، أحد خلفاء المسلمين ـ رضي الله عنهم ـ .

ثانياً : وصية النبي ﷺ بأصحابه خيراً، ونهيه عن بغضهم وسبهم .

ثالثاً : سبقهم إلى الإسلام واستباقهم الخيرات واختصاصهم بالرسول ﷺ وهجرتهم إليه وإيواؤهم إياه وأصحابه ونصرتهم .

رابعاً : جهادهم وصبرهم مع غربتهم وقلتهم ، وتضحيتهم بأنفسهم وأموالهم وأهليهم لله تعالى.

خامساً : علمهم بالكتاب والسنة ، وفهمهم لمراد الله ورسوله ، وسبقهم إلى العمل لله تعالى.

سادساً : إحسانهم إلى الأمة بتبليغ العلم والعمل ولزوم السنة وهجر البدع وأهلها ومجاهدتهم لأهل البدع والأهواء، فما وصل لأحدٍ من الأمة علمٌ ولا خير ولا إنكار لبدعة وشر إلا بواسطتهم.

سابعاً : ما جاءت به النصوص من أن العمل القليل من أحد الصحابة يفضل العمل الكثير من غيرهم ؛ وذلك لصدق إيمانهم وكمال إخلاصهم في أعمالهم، وحسن تأسّيهم بنبيهم ﷺ ، وعظيم فقههم، وذلك من أسباب علو مرتبتهم وكثرة أجرهم.

ومن السنة : السمع والطاعة لأئمة[1] المسلمين وأمراء المؤمنين، برهم وفاجرهم ، ما لم يأمروا بمعصية الله ، فإنه لا طاعة لأحد في معصية الله.

---

(١) في الواجب لولاة أمور المسلمين :

يعتقد أهل السنة وجوب :

١- النصيحة لولاة أمور المسلمين وموالاتهم على الحق .

٢- طاعتهم في المعروف وأمرهم به .

٣- تذكيرهم بإسرار ورفق .

٤- الصلاة خلفهم إن صلوا بالناس الجمعة والجماعة .

٥- دفع زكاة الأموال الظاهرة إليهم وهم عليها مؤتمنون وتبرأ الذمة منها بتسليمها إليهم بإجماع من أهل العلم .

٦- الجهاد معهم .

٧- الصبر على جورهم، وإعطائهم سائر الذي لهم .

٨- وترك التشهير بهم والتحريض عليهم .

٩- أن لا يغروا بالتزكية والثناء الكاذب .

١٠-النصح بالرفق بالرعية والإحسان إليها.

١١-وأن توصل إليهم حاجة من لا تصل حاجته إليهم .

١٢- الدعاء لهم بالصلاح والتوفيق .

١٣-السعي في تحقيق التعاون معهم على البر والتقوى والتناهي عن الإثم والعدوان.

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ [النساء :٥٩]

وقال ﷺ : « اسمعوا وأطيعوا وإن تأمّر عليكم عبد .. الخ » . وقال ﷺ «من رأى من أميره شيئاً يكرهه فليصبر عليه ، فإنه من فارق الجماعة شبراً فمات إلا

ومَنْ وَلِيَ الخلافة واجتمع عليه الناس ورضوا به، أو غَلَبَهم بسيفه حتى صار خليفة، وسُمِّي : أمير المؤمنين؛ وجبت طاعته، وحرمت مخالفته والخروج عليه، وشق عصا المسلمين[1] .

مات ميتة جاهلية » متفق عليه ، وفيهما عن عبادة بن الصامت ﷺ قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في منشطنا ومكرهنا وعسرنا ويسرنا، وأثرة علينا ـ أي استئثار بالمال ونحوه دوننا ـ وأن لا ننازع الأمر أهله، إلا أن تروا كفراً بواحاً عندكم فيه من الله برهان». وقال ﷺ : « **على المرء المسلم السمع والطاعة** ـ يعني لولاة الأمور المسلمين ـ **فيما أحب وكره، إلا أن يُؤمر بمعصية فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة** » . رواه مسلم.

وقال ﷺ : « **أطع الأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك وأثرة عليك** » . رواه مسلم وقال ﷺ : « **من خلع يداً من طاعة لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة مات ميتة جاهلية** » . رواه مسلم.

وقال ﷺ : « **من أراد أن يفرق أمر هذه الأمة وهم جميع، فاضربوه بالسيف كائناً من كان** » رواه مسلم. وقال ﷺ : « **ستكون أمراء فتعرفون وتنكرون فمن كره برئ ومن أنكر سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: أفلا نقاتلهم؟ قال: لا ما صلوا** » . رواه مسلم.

وغير ذلك كثير ، وكلها في الصحيح، وهي تُبيِّن عِظَم شأن حقوق ولاة الأمر في السنة، وعظم حقهم على الرعية في الشريعة، وبيان الواجب نحوهم عند المخالفة، وتحريم العصيان والمشاقة والتحريض عليهم والتسبب في الفرقة، وتهدد من خلع البيعة ونزع اليد من الطاعة بسوء الخاتمة.

(١) من طريقة أهل السنة أنهم يدينون بالنصح للأمة ـ عامة المسلمين ـ لقول الله

ومن السنة : هجران أهل البدع، ومباينتهم، وترك الجدال والخصومات في الدين، وترك النظر في كتب المبتدعة، والإصغاء إلى كلامهم، وكل محدثة في الدين بدعة، وكل متسم بغير الإسلام[1] والسنة مبتدع، كالرافضة،

تعالى : ﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [التوبة :٩١] ، ولقول النبي ﷺ : « **الدين النصيحة** » قالها ثلاثاً ، قلنا : لمن يا رسول الله قال : «**لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم** » . رواه مسلم.

وفيه أيضاً عن أنس ﷺ أن النبي ﷺ قال: « **ثلاث لا يُغِلُّ عليهنَّ** ـ أي لا يجتمعن هن والغل ـ : **إخلاص العمل لله، والنصح لولاة الأمور، ولزوم جماعة المسلمين**»، وكان ﷺ يأخذ على أصحابه عند البيعة على الإسلام النصح لكل مسلم ويبين أن من حق المسلم على أخيه أن ينصح له إذا استنصحه، والنصيحة كلمة جامعة تدل على إخلاص نية وحيازة الخير للمنصوح له والنصح للأمة بتعليمهم العلم النافع ودعوتهم للعمل الصالح والتوبة إلى الله من القبائح، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر ونصحهم فيما يستنصحون به من أمورهم وإعانتهم على الخير والسعي في حوائجهم والتيسير على معسرهم ودفع الظلم عنهم ، والأخذ على يدي الظالم منهم ومنعه من الظلم ومواساتهم عند مصائبهم والفرح بما يسرهم وينفعهم، والدعاء بظهر الغيب بصلاحهم وهداهم وسؤددهم، وإرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية ومحبة الخير لهم وترك كل ما من شأنه إحداث الفتنة والتفريق بينهم وتحرش بعضهم على بعض.

(١) **طريقة أهل السنة في تلقي دينهم:**

سلك أهل السنة والجماعة في تلقي دينهم صراطاً مستقيماً وسبيلاً معصوماً نافعاً :

والجهمية، والخوارج، والقدرية، والمرجئة، والمعتزلة، والكُرّامية، والكُلاّبية، ونظائرهم فهذه فرق الضلال[١]، وطوائف البدع أعاذنا الله منها .

فاتّبعوا القرآن العظيم عملاً بقول الله تبارك وتعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [الأعراف :٣] .

وعملوا بالسنة تحقيقاً لقول الحق سبحانه : ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ [الأحزاب :٢١] ، ولقول النبي ﷺ : « **تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي : كتاب الله وسنتي** » .

واتبعوا خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين، وأعظمهم معرفة في الدين وهم الصحابة رضي الله عنهم عموماً والخلفاء الراشدون منهم خصوصاً، لقوله ﷺ : «**عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين عضوا عليها بالنواجذ**»، فسلكوا الطريق إلى الله تعالى مصطحبين هذه الأصول الجليلة ، فما جاءهم مما قاله الناس أو عملوه أو استحسنوه وزنوه بمعيار الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة والتابعين وتابعيهم بإحسان، وأئمة الهدى من بعدهم، وهم أهل القرون المفضلة، الذين هم خير قرون الأمة، فما وافق هذه الأصول قبلوه وفرحوا به وعملوا بمقتضاه وعرفوا الفضل لمن دلَّهم عليه، وما خالفها ردوه على من جاء به كائناً من كان، ولم يشتغلوا به، فاستقامت طريقتهم، فسلموا من بدع الأقوال الاعتقادية، وبدع الأعمال المخالفة لما عليه الرسول ﷺ وأصحابه، فلم يتعبدوا ولم يستحسنوا إلا ما شرعه الله ورسوله.

(١) الفرق الضالة وأصول بدعهم وضلالاتهم في الدين :

الأولى : الخوارج : وأصل بدعتهم الاعتراض على السنة والقول بإنفاذ الوعيد.

الثانية : الشيعة : وأصل بدعتهم في تفضيل آل علي ـ رضي الله عنهم ـ ثم انتهى الأمر إلى الغلو فيه وتكفير أو تفسيق جملة الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ ، ورفض الإمام زيد بن علي بن أبي طالب لما تبرأ من تكفير أبي بكر وعمر وصرّح

....

بتوليهما فقالوا : نرفضك . فسُمُّوا روافض.

الثالثة : القدرية : وأصل بدعتهم في إنكار القدر .

الرابعة : المرجئة : وأصل بدعتهم في القول في الإيمان وتغليب نصوص الوعد.

الخامسة : الجهمية : وأصل بدعتهم في إنكار معاني نصوص الأسماء والصفات، وأخطر أقوالهم نفي محبة الله تعالى وكلامه ورؤيته.

وترتيبها في الظهور: الخوارج ، ثم الروافض، ثم القدرية ، ثم الجهمية .

والمعتزلة ليست من الأصول مع كون مقالتهم خطيرة وكبيرة لأنها دخلت في أكثر من بدعة، فإن شئت صنفهم مع القدرية وإن شئت صنفهم مع الجهمية.

*** حكم هذه الفرق :**

كل هذه الطوائف متعرضة للوعيد لأمرين :

الأول : جرأتها على القول في دين الله تعالى بآرائها وعقولها وردُّ ما جاءها من كلام ربها تعالى وسنة نبيها ﷺ بأنواع التأويلات التي ما أنزل الله بها من سلطان، فقدَّمت المعقول على المنقول ، والهوى على الهدى .

الثاني : قوله ﷺ : **« كلها في النار إلا واحدة »** فكل فرقة فيها من الضلال ما فارقت به السنة التي كان عليها النبي ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم ، وهي متعرضة للوعيد بحسب بدعتها، فكل هذه الفرق عند أهل العلم من أهل القبلة إلا الجهمية، فإنهم الذين كفَّرهم ـ فيما ذكر الإمام ابن القيم أكثر من خمسمائة من علماء الأمصار ، منهم الإمام أحمد رحمه الله تعالى ، وذلك لغلظ بدعتهم، ولم يكفِّرهم جمهور أهل العلم لما طرأ عليهم من الشبهات.

وأما النسبة إلى إمام في فروع الدين، كالطوائف الأربع فليس بمذموم، فإن الاختلاف في الفروع رحمة، والمختلفون فيه محمودون في اختلافهم، مثابون في اجتهادهم، واختلافهم رحمة واسعة، واتفاقهم حُجَّة قاطعةٌ .

نسأل الله أن يعصمنا من البدع والفتنة، ويحيينا على الإسلام والسنة، ويجعلنا ممن يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم في الحياة، ويحشرنا في زمرته بعد الممات، برحمته وفضله آمين .

وهذا آخر المعتقد، و الحمد لله وحده، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما.

* * *

فهرس الموضوعات

***



فهرس الموضوعات

* * *